سوريتنا
www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com
السنة الثالثة | العدد (157) | 21 أيلول 2014

بائع الحكمة في زمن الجنون

وزير الصحة يرفض تقديم استقالته والفاعل ما زال مجهولاً في حادثة لقاحات للحصبة

حين تقرر أميركا القتال دوافع السياسة الخارجية الأميركية في العقود الأخيرة

شبح التصفية والاعتقال يلاحق أطباء حلب

أبو فاضل وأحفاده في موقع سرجيلا الأثري
ريف إدلب | عدسة سوريتنا

وزير الصحة يرفض تقديم استقالته، والفاعل ما زال مجهولاً
وفاة 15 طفلاً واصابة 50 آخرين جراء لقاحات فاسدة للحصبة

سوريتنا | زليخة سالم

صرح مصدر خاص في الحكومة السورية المؤقتة لـ سوريتنا، بأن وزير الصحة الدكتور عدنان الحزوري، رفض تقديم استقالته عقب الحادثة التي أودت بحياة 15 طفلاً وإصابة 50 آخرين ، بحسب الحكومة المؤقتة، في ريف معرة النعمان الشرقي في محافظة إدلب خلال حملة التلقيح ضد الحصبة التي قامت بها الفرق الصحية التابعة لوزارة الصحة في الحكومة السورية المؤقتة.

وكشف المصدر إلى ذلك، أن رئيس الحكومة المؤقتة أحمد طعمة ووزراء آخرين، طلبوا من الحزوري تقديم استقالته، خلال الاجتماع الطارئ الذي عقده مجلس الوزراء، والخاص بالحادثة.

المصدر نفى لـ سوريتنا، صحة ما ذكره أحمد طعمة رئيس الحكومة حول وضع الحزوري استقالته تحت تصرف الرئاسة، مشيرا إلى أن الوزير الحزوري ما زال مصرا على عدم الاستقالة، حتى ساعة إعطاء هذا التصريح، وفقا للمصدر.

وتضاربت التصريحات بين إمكانية أن يكون السبب عملاً جرمياً أو خطأ بشري فيما التحقيقات ما تزال جارية لمعرفة السبب الحقيقي وراء هذه الجريمة بحق الأطفال.

لجنة التحقيق والمتابعة التي كلفتها الحكومة المؤقتة التحقق من أسباب الوفيات أصدرت بياناً الأربعاء بينت فيه من المعطيات وجود أمبولات (عبوات) من دواء يدعى الأتراكوريوم في أحد الترامس التي استعملت في التلقيح في ناحية سنجار وأدت إلى وفيات، والتي تم تسليمها للفريق من قبل اللجنة الأمنية صباح اليوم الأربعاء 17 / 09 / 2014 علما أن الأتراكوريوم هو دواء مرخي عضلي يُستعمل في التخدير الجراحي يسبب فقد قدرة الإنسان على التحكم بعضلاته الإرادية ويشل العضلات اللاإرادية قاطعاً أي اتصال عصبي عضلي مؤدياً إلى شلل رخو تام بكافة عضلات الجسم وخصوصاً العضلات التنفسية.

وأوضح البيان أن جرعة الأتراكوريوم اللازمة للبدء بعملية الإرخاء أثناء التخدير الجراحي هي 0،5 ملغ \ كغ، والجرعة التي أعطيت لكل طفل أصيب هي 5 ملغ وهي جرعة كافية للأطفال ذوي الأوزان من عشرة كغ فما دون للدخول في حالة شلل تام وهي التي كانت سبب الوفيات عند الأوزان الصغيرة، في حين كانت الجرعة عند الأطفال الأكبر وزنا أقل تأثيرا.

كما استعملت مادة الأتراكوريوم كمذيب للقاح عوضاً عن المذيب المخصص، ووجد شبه كبير بين شكل أمبولة المذيب المخصص للقاح وأمبولة الأتراكوريوم، وبالرجوع إلى أماكن تخزين اللقاح في المشفى تبين أنه كان محفوظاً في البراد المخصص، وتم التأكد وفق البيان من أن الأتراكوريوم الذي وجد في الترمس المصادر من فريق التلقيح مطابق للأتراكوريوم الموجود في البراد الذي توضع فيه اللقاحات وذلك من خلال تاريخ الصلاحية ورقم الطبخة (Lic. No. + Lot).

وأوضحت اللجنة أنه تم إحالة الملف كاملا إلى المحكمة المختصة لتبيان سبب وجود أمبولات الأتراكوريم ضمن البراد المخصص للقاح ومعرفة ما إذا كان الموضوع خطأ غير مقصود من قبل كادر المشفى أو عمل جنائي مدبر اعتماداً على ما سبق واستكمالاً للتحقيقات.

بدأت حملة تلقيح الحصبة في جولتها الثانية في محافظة إدلب يوم الاثنين 15 / 9 / 2014 وقد انتهى اليوم الأول دون أي مشاكل تذكر وتم تلقيح نحو 20000 طفل على مستوى المحافظة، حسب البيان، وفي يوم الثلاثاء 16 / 9 / 2014 في تمام الساعة التاسعة والنصف صباحاً وردت أنباء تفيد بحدوث وفيات بين الأطفال الملقحين في منطقة شرق معرة النعمان، تم التواصل مباشرةً مع الطبيب مشرف المنطقة وتم تأكيد الخبر، فتم الإيعاز فوراً إلى كافة مراكز اللقاح في المحافظة وعددها 30 مركز بإيقاف كافة فرق التلقيح وعددها 160 فريق وبشكل فوري.

وتم وضع كل من وزارة الصحة المؤقتة وفريق عمل مكافحة الحصبة في سوريا في صورة ما ورد، وتشكيل فرق تحقيق أولية أرسلت إلى مراكز التلقيح التي وردت منها المعلومات وإلى المشافي التي استقبلت الحالات، كما وتم أخذ عينات دم وبول من أحد الأطفال المصابين وإرسالها إلى المخابر التركية الرسمية، وتم ارسال طفلين من الأطفال الذين ظهرت عليهم الأعراض إلى المشافي التركية لمتابعة العلاج والاستقصاءات.

وأشارت التحقيقات الأولية إلى الاشتباه بفعل جنائي في مركز جرجناز وعليه بادرت الحملة المشرفة على مكافحة الحصبة في إدلب بتقديم دعوى قضائية للجهات الأمنية المعنية، وتم تشكيل لجنة طبية لإجراء تحقيق تفصيلي حول ما حدث والتي قامت بزيارة المنطقة والتقت وأخذت شهادات موثقة من كل من أهالي أطفال الشهداء والمصابين، والكادر الطبي الذي عالج الحالات وقام بإسعافها، والكادر الطبي الذي أشرف على التلقيح في المنطقة، وكادر مشفى جرجناز الذين كان اللقاح محفوظاً عندهم.

وأوضحت اللجنة في بيانها أن الأعراض تمحورت حول حصول شلل رخو مفاجئ عند الأطفال ظهر بعد 3 - 5 دقائق من إعطاء اللقاح، وصفت الحالات عند الرضع والأطفال صغيري البنية بالشديدة وعند الكبار بالخفيفة وتحسنت أغلب الحالات تلقائياً، وتراوح عدد الاصابات بين 50 - 75 إصابة أدت إلى حدوث وفيات بين الأطفال قُدرت بـ15 حالة منها 14 حالة وفاة موثقة بالاسم والتفاصيل الكاملة حتى الآن، وانحصرت الإصابات والوفيات في فرق (جرجناز – سنجار – شيخ بركة – أم ميلات) والتي تتبع كلها لمركز جرجناز وتتلقى اللقاح منه.

تراوح عمر الوفيات بين 6أشهر إلى 18 شهر، في حين تعافى الأطفال الأكبر سناً تلقائياً خلال مدة قصيرة تراوحت من ساعة إلى ساعة ونصف وبشكل تدريجي، وتم جمع ما أمكن من عبوات

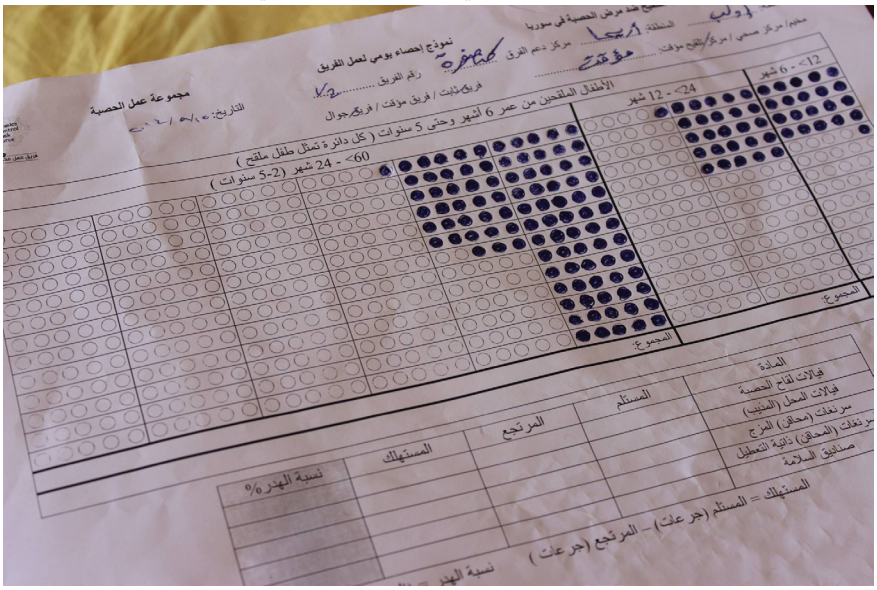

اللقاح المتبقية والفوارغ التي كانت بحوزة فرق التلقيح في المنطقة، والتأكد من صحة حفظ اللقاح وسلامته.

وحمّل تجمع أنصار الثورة السورية وزارة الصحة والحكومة المؤقتة والائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة المسؤولية كاملة عن هذه الكارثة، وطالب الائتلاف بتشكيل لجنة تحقيق مختصة مستقلة وتعمل تحت رقابة مندوبين من القوى الثورية المعتبرة على الفور للوقوف على الأسباب الحقيقية لما حصل والمسؤولين عنه، وإيقاع العقاب بمن تثبت التحقيقات مسؤوليته عن إزهاق أرواح أطفالنا، والاستهانة بحياتهم.

وحذر التجمع قيادة الحكومة والائتلاف من التهاون في التحقيق أو تمييع اجراءاته، كما جرت العادة في سابقات الأحداث، وأكد أنه سيتابع بكل جدية مسار التحقيق المنتظر، ولن يسكت على أي تهاون أو تجاوز.

وفي حين أوقفت وزارة الصحة في الحكومة السورية المؤقتة الجولة الثانية من حملة التلقيح ضد مرض الحصبة، وذلك إثر حدوث حالات وفاة وإصابات بين الأطفال في مراكز اللقاح في مدينة ريف إدلب، أعلن وزير الصحة في الحكومة المؤقتة أنه وضع استقالته ومعاونيه لدى رئيس الحكومة، موضحاً أن سبب وفاة الأطفال هو استخدام مادة طبية أخرى بدلا من مذيب اللقاحات، وأن مصدر اللقاحات الجديدة هو ذات مصدر اللقاحات السابقة أمانة ومعتمدة دولياً، معرباً عن اعتقاده بإمكانية أن يكون هذا العمل خطأ بشرياً، أو جريمة جنائية ارتكبت بشكل مقصود.

بدوره أعلن رئيس الحكومة السورية المؤقتة، أحمد طعمة، أن «خطأ بشريا» على الأرجح يقف وراء مقتل 15 طفلا سوريا خلال حملة التلقيح ضد الحصبة التي حصلت في مطلع الأسبوع في شمال البلاد، وقال: إن «التقارير رجحت احتمال حدوث خطأ بشري أدى إلى استخدام مادة الأتراكوريوم بدلاً من المادة المذيبة الواجب استخدامها مع مسحوق اللقاح». والأتراكوريوم هو دواء يستخدم في التخدير، موضحاً أنه تم انقاذ 62 طفلاً تتجاوز أعمارهم السنتين بعد اصابتهم.

وكشف أن الحكومة السورية المؤقتة «أوعزت بتوقيف كامل فريق العمل الحكومي الذي عمل في المشروع، وتم توقيف مدير المركز ومدير صحة إدلب الحرة عن العمل في انتظار جلاء التحقيقات، وقال إن حملة التلقيح ستستأنف «في وقت قريب».

وفي بيان له قال الائتلاف الوطني أنه باشر التنسيق مع الحكومة السورية المؤقتة بالبدء بإجراء التحقيقات لجمع الأدلة ومعرفة حيثيات الحادثة، ودعا جميع المواطنين إلى عدم الانجرار وراء الشائعات التي تقوم بنشرها جهات تسعى لإثارة الفوضى والهلع بين الناس، وتعهد بالتعامل مع هذه الواقعة بمسؤولية وجدية كاملة، لكشف ملابساتها، وتحديد الأطراف المسؤولة عنها.

الدكتور أكرم أبو عمر كتب على صفحته حول هذه الجريمة: يملي علي واجبي المهني كطبيب مختبر ان اعطي لمحة عن الية الانسمام باللقاح، وخاصة بعد الجريمة التي حدثت بحق اطفال ادلب الابرياء.

لقاح الحصبة عبارة عن فيروسات موهنة (مضعفة تحقن تحت الجلد بهدف التمنيع ضد الحصبة ومن خلال تجربتي العلمية لا يمكن ان يتسبب هذا اللقاح باي حالة تسمم فجائي يؤدي إلى الوفاة وحتى ان كان هذا الفيروس غير مضعف والذي حدث غالبا هو انسمام نتيجة تلوث اللقاح لسبب ما ببكتيريا شديدة السمية حيث يعوق السم (الذيفان) الذي تنتجه انتقال الإشارات من الأعصاب إلى العضلات مما يؤدي إلى إصابة العضلات بالشلل الذي كثيراً ما يبدأ بالعضلات المسؤولة عن العينين والبلع والكلام ثم يتقدم ليشمل عضلات الجذع والأطراف(المهم ان السبب المباشر قد يكون التلوث بمادة مثبطة لخميرة الكولين استراز) وهذا ما حدث فعلا مع شهداء ادلب من الاطفال. وارجح التلوث بجرثوم المطثية الحاطمة D. clostredium.

يذكر أن حملة التلقيح الأولى ضد مرض الحصبة والتي بدأت قبل شهر من الآن قد تمت بأسلوب سليم ومن دون أي مشاكل شملت نحو «60000» طفل في جميع المناطق المحررة.

وبانتظار جلاء الحقيقة والكشف عن الفاعلين ومحاسبتهم، لابد من التروي بالأحكام لكي لا تحمّل أطرافاً جريمة لم ترتكبها.

تنظيم "الدولة" على أبواب كوباني.. ونزوح الآلاف من المدنين

سوريتنا - أيمن الأحمد

شن تنظيم "الدولة الإسلامية" هجوما واسعاً على جبهتين غربي وشرقي مدينة عين العرب (كوباني) ذات الغالبية الكردية، مسيطراً على عشرات القرى.

حيث سيطر التنظيم على قرى في ريف كوباني من أهمها صهروج، الدناي، الجرن الأسود، القرنفل الفوقاني، القرنفل التحتاني، رجيمان، تل الدغل، حروب، الكتكانية، هوالك وآخرها التورمانة، خروص، العوينة والقمشي إضافة إلى سيطرته على عدد من القرى بين جرابلس وعين العرب، وبات التنظيم على أبواب مدينة عين العرب (كوباني).

وكان المرصد السوري لحقوق الإنسان أعلن الجمعة (19 أيلول) أن مقاتلين من تنظيم "الدولة الإسلامية" سيطروا على 60 بلدة بالقرب من الحدود التركية في هجوم كاسح بدأ قبل يومين فقط، وباتوا على مقربة من عين العرب.

وقال الناطق باسم جماعة حماية الشعب ريدو خليل "إن تنظيم الدولة الإسلامية طوّق كوباني. وأضاف أن التنظيم يستخدم الدبابات والصواريخ والمدفعية في الهجوم".

وناشد الناطق "القوى العالمية التحرّك لوقف هجوم لتنظيم "الدولة الإسلامية".

السيطرة السريعة والمباغتة لعشرات القرى وانسحاب "وحدات الحماية الشعبية YPG" أدى إلى بالعديد من سكان المنطقة إلى النزوح نحو الحدود التركية المجاورة في محاولة للهرب من المعارك المستمرة.

حيث تجمع أكثر من 3000 شخص منذ الخميس على الحدود مع تركيا والتي رفضت استقبالهم في البداية ثم ما لبثت أن فتحت الجمعة حدودها أمام آلاف الأكراد السوريين الفارين من تقدم تنظيم الدولة نحو عين العرب.

بالمقابل قال نائب رئيس الحكومة التركية، "نعمان قورتولموش"، أمس السبت، إن 45 ألفاً من أكراد سوريا عبروا الحدود إلى تركيا خلال اليوم الفائت، بعد أن فتحت ممراً حدودياً، وذلك هرباً من مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية".

وقال قورتولموش لقناة "سي. أن. أن. ترك": "عبر نحو 45 ألف كردي سوري الحدود حتى الآن من 8 نقاط على مسافة 30 كيلومتراً من أقحة قلعة إلى مورسيتبينار منذ أن فتحنا الحدود الجمعة".

من ناحية أخرى، طالب الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية المجتمع الدولي والمنظمات الحقوقية والإنسانية "بمد يد العون، واتخاذ تدابير عاجلة تحول دون تفاقم وضع النازحين"، داعيا "الجانب التركي إلى فتح الحدود، وتسهيل دخول جميع الهاربين من بطش تنظيم الدولة".

وأوضح الائتلاف في بيان صدر عنه أن "التقارير تفيد بأن هناك أكثر من 7000 مدني عالقون على الحدود السورية التركية منذ صباح الخميس، أغلبهم من الأطفال والنساء، وسط ظروف إنسانية قاسية".

وكان الائتلاف قد حذر أيضاً من مخاطر وقوع مجازر محتملة بحق المدنيين، من قبل تنظيم "الدولة الإسلامية"، بعد سيطرته على القرى السورية في الشمال.

من جهته، حث رئيس إقليم كردستان العراق المجتمع الدولي أول أمس الجمعة، "على استخدام كل الوسائل لحماية مدينة كوباني في سوريا المجاورة من هجوم وشيك لمقاتلي تنظيم الدولة".

وقال "مسعود بارزاني" في بيان له "أدعو المجتمع الدولي لاستخدام كل الوسائل بأسرع ما يمكن لحماية كوباني".

وتحدثت مصادر عن دخول أكثر من 300 مقاتل كردي دخلوا سوريا عبر تركيا للتصدي لتقدم تنظيم الدولة الإسلامية إلى عين العرب (كوباني).

في زمن الهدم، حكومة النظام تمتلك قائمة بأسماء تجار المخالفات ومن يقف خلفهم

دمشق - أنليل فارس

ضمن عمل النظام المنفصم عن الواقع، أعلنت حكومته الجديدة القديمة، عن امتلاكها قوائم بأسماء تجّار المخالفات ومن يقف خلفهم، وكعادتها لم تتأخر كثيراً في الوصول إلى هذه القائمة، فقط بغد أن أصبح في سوريا 157 منطقة سكن عشوائي بمساحة إجمالية 10838 هكتاراً، يقطنها ملايين السوريين.

من جهته، خرج "رئيس مجلس الوزراء" وائل الحلقي، وقال إنّ الحكومة لن تتهاون في مخالفات البناء، وسيُحاسَب كل المشاركين فيها، وسوف تطبّق القرارات المتخذة بهذا الشأن على كل المحافظات.

كما تم اقتراح موافاة وزيري الداخلية والعدل خلال 24 ساعة بقوائم أسماء تجار المخالفات ومن يقف خلفهم لتحريك الدعوى العامة بحقهم، إضافة إلى أسماء العاملين في الوحدات الإدارية المتورطين أو المقصرين في قمع المخالفات، بحسب ما نشر في إحدى الصحف المحلية.

وهناك توصيات تضمّنت أيضاً تشكيل لجنة سلامة إنشائيّة للكشف على جميع الأبنية المخالفة وختمها بالشمع الأحمر، إلى حين تفعيل عمل لجنة الهدم المركزية وفرز موظفين للتواجد في المجابل الإسفلتية، إضافة إلى الإسراع بإنجاز مخطط التنظيم وإنشاء مناطق تنظيمية جديدة في المحافظات وتنفيذ أحكام المرسوم التشريعي 66 لـ2012.

وللعلم أنّ عدد الدعاوي المتعلقة بمخالفات البناء والمنظورة أمام المحاكم بداية الجزاء في سوريا، تقارب الـ15 ألف دعوى، منها 4 آلاف في دمشق وريفها.

لا أحد يعلم كيف ستتم محاسبة تجار المخالفات إن كان النظام لا يستطيع جباية الكهرباء والماء في كثير من المناطق التي يسيطر عليها، في حين نزح ملايين السوريين من مناطقهم جراء القصف، وهم بحاجة إلى مأوى يحفظ كرامتهم، وارتفعت أجارات المنازل أكثر من أربعة أضعاف ما كانت عليه في عام 2011.

سعر صرف الدولار يحلق ويجر وراءه الأسعار

سجل سعر صرف الدولار خلال الأيام الماضية قفزات متواترة حيث جاوز الـ200 ليرة سورية، قبل أن يعود نهاية الأسبوع إلى الانخفاض إلى حدود 190 ليرة للدولار، الأمر الذي استنفر له مصرف سوريا المركزي، وبدأ بضخ ملايين الدولارات، في محاولة لإشباع السوق، انطلاقا من أن زيادة الطلب هو ما رفع سعر الصرف.

وحدد المصرف المركزي سعر صرف الدولار شراء 186 ليرة ومبيع 184 ليرة، في حين عقد جلسة تدخل طارئة باع فيها نحو 10 ملّيون دولار، ألزم فيها شركات الصرافة بشراء 300 ألف دولار والمكاتب بـ100 ألف دولار، على أن تباع لمن يرغب دون قيد على المبلغ أو شرط فيكفي وجود أي وثيقة تثبت الشخصية.

ورفض المركزي أي مبرر لعدم عرض أي شركة أو مكتب صرافة بيع القطع الأجنبي بحسب نشرة المركزي، داعيا أي منها التقدم لشراء أي مبلغ في حال وجود طلب.

ورافق ارتفاع سعر صرف الدولار حالة من ارتفاع الأسعار عامة تراوحت بين 20 - 25٪، في حين حدثت بلبلة في السوق، وكثير من التجار علقوا أعمالهم لحين استقرار سعر الصرف، الذي أعاد اقتصاديون ارتفاعه إلى حدوث توترات أمنية في محيط دمشق، حيث لا ثقة بالسياسات الاقتصادية للنظام السوري.

أرباح الوهم، 8.7 مليار في نصف السنة الأول

ضمن مسلسل بيع الوهم الذي يعتمده النظام، أعلن عن أن ثماني مصارف خاصة حققت أرباحا بلغت 7.9 مليار ليرة، في حين خسرت ثلاثة مصارف أخرى 1.98مليار، وثلاثة مصارف أخرى لم تكشف عن بياناتها المالية بعد.

وكانت تقارير نشرت في وسائل إعلام محلية، بينت أن أرباح 11 مصرفا انخفضت خلال النصف الأول من العام الجاري بنسبة 82٪ مقارنة مع أرباحها في ذات الفترة من العام الماضي.

وتستند أرباح المصارف اليوم في معظمها إلى الأرباح غير المحققة والمستندة على تقييم مراكز القطع الأجنبي في المصارف، والتي تتغير بتغير أسعار الصرف في السوق، وللإيضاح فإن هذه الأرباح لا تحسب من الأرباح التشغيلية كما هو معمول فيه وفقاً للمعايير المحاسبية العالمية، لكن المصرف المركزي أجاز للمصارف احتسابها كأرباح تشغيلية جراء الأزمة.

يشار إلى أن المصارف السورية أوقفت جميع نشاطاتها على مختلف الصعد، من قروض التجزئة إلى تمويل المشاريع الاستثمارية، وتقتصر أعمالها اليوم على بوالص التأمين، وعمولات التحويل.

البدء بتصدير الزيتون إلى روسيا

في غضون ذلك أعلن النظام عن بدء تصدير الزيتون إلى روسيا ضمن خطته، في فتح كوريدور أخضر بين سورية وروسيا لتصدير المنتجات الزراعية السورية.

وكان "اتحاد الغرف الزراعية" ذكر أن سوريا قادرة على تصدير ألف طن من المنتجات الزراعية، في حين تحذر منظمات دولية من خطر تهديد المجاعة لملايين السوريين.

وفي وقت يتحدث النظام به عن مكاسب مالية من وراء هذا التصدير، يشكك اقتصاديون قائلين إن ما سيصدره النظام لن يشكل سوى جزء بسيط من الديون المتراكمة على النظام جراء استجرار السلاح الروسي طوال السنوات الماضية.

الأمم المتحدة تقلص حصص الغذاء للسوريين

سوريتنا - وكالات

على أبواب فصل الشتاء وضغط متطلبات السوريين أعلنت الأمم المتحدة أنها ستقلص حصص الغذاء المخصصة لهم بنسبة 40٪ اعتباراً من الشهر القادم، رغم تحسن الوصول إلى المناطق المحتاجة، بسبب نقص التمويل الناجم عن عدم التزام دول ما تطلق على نفسها أصدقاء الشعب السوري بما وعدت به.

التقليص الذي سيطال 4 ملايين شخص سيشكل أزمة خانقة بالنسبة للاجئين السوريين الذين لاتمثل لهم هذه المساعدات سوى الكفاف من الجوع.

وقال برنامج الاغذية العالمي هذا الشهر إن عددا قياسيا يبلغ 4.1 مليون شخص في سوريا حصلوا على حصص غذاء في شهر آب مع تمكن مزيد من القوافل من عبور خطوط الجبهة والحدود من تركيا والاردن.

من جانب آخر حذرت المفوضية العليا لشؤون اللاجئين من أنّ مئات الآلاف من الأطفال السوريين في المنفى، قد يجدون أنفسهم من دون جنسية سورية لعدم إدراجهم في السجلات، بسبب مقتل أعداد كبيرة من الآباء في الحرب، والانفصال القسري للعائلات.

وأوضحت المفوضية إن الحرب في سوريا حرمت مئات آلاف الأطفال من آبائهم، وأضحى ربع الأسر ترعاه نساء فقط، في وقت لا يسمح القانون السوري بالجنسية للأطفال على أساس الأمومة، بل يقصرها فقط على الآباء، مشيرة إلى تزايد أعداد الأطفال غير المسجلين، ووجود جيل لا يملك وثائق تثبت حالتهم أو سنهم أو نسبهم.

وقال مسؤول كبير في الأمم المتحدة يوم الأربعاء إن مئات الآلاف من الأطفال السوريين الذين يعيشون في المنفى يمكن أن يجدوا أنفسهم بدون جنسية بسبب القتال في بلادهم، وهذا يعرضهم لخطر الاستغلال وربما يمنعهم من العودة إلى بلادهم.

وتظهر أرقام المنظمة أن 51 ألف طفل سوري ولدوا في المنفى، منهم 77٪ غير مسجلين، كما يتعرض لخطر الحرمان من الجنسية أيضا ثمانية آلاف طفل أصبحوا لاجئين دون مرافق أو انفصلوا عن أسرهم.

الشهيد الإعلامي عبد الله الحمود «أبو محمد» يلتحق بقافلة الشهداء الإعلاميين

التحق الإعلامي عبد الله الحمود «أبو محمد» بقافلة شهداء الإعلاميين يوم الأثنين الماضي اثر استهداف طيران النظام لمدينة تلبيسة في ريف حمص بعدة صواريخ وبراميل متفجرة، حيث وقعت مجزرة، راح ضحيتها العشرات.

الشهيد عبد الله أبو محمد ابن حي كرم الزيتون في مدينة حمص 28 عاماً التحق بالعمل الإعلامي منذ بداية الثورة، وبدأ العمل في مكتب كرم الزيتون الإعلامي في توثيق القصف والمعارك اليومية في الحي، وعمل خلال فترات وجوده في الحي على توثيق جرائم النظام من خلال كاميرته، وانتقل بعد احتلال كرم الزيتون إلى القلمون.

عاد إلى حمص القديمة متحدياً الحصار وقسوته، ليخرج منها مع آخر دفعة من ثوار حمص خلال المفاوضات الأخيرة مع النظام بتاريخ 19 أيار الماضي، ويكمل عمله الإعلامي في مدينة تلبيسة.

أسس مع عدد من ناشطي المدينة «رابطة إعلاميي الثورة في حمص»، لنقل الحقائق وتغطية الأحداث في المنطقة، واستشهد خلال قصف طيران النظام لمدينة تلبيسة في 15 أيلول.

بعد عامين من الحصار ثوار "غويران" ينسحبون خارج الحسكة

الحسكة – عدنان أبو كنان

انسحب ثوار حي "غويران" بمدينة الحسكة، الثلاثاء الماضي، إلى جبل عبد العزيز بالريف الغربي، بعد أن وافقوا على إبرام اتفاق مع قوات النظام، على غرار ما جرى في حمص القديمة سابقاً.

جاء هذا الاتفاق بين الثوار وقوات النظام عقب وساطة قادتها شخصيات اجتماعية ورجال دين من المدينة.

وينص الاتفاق بين الثوار وقوات النظام، بأن ينسحب الثوار البالغ عددهم نحو 130 مقاتلاً، من الحي بسلاحهم الخفيف وبعض آلياتهم، دون السلاح الثقيل، ثم ايصالهم إلى نقطة أمنة خارج المدينة، في المقابل يتعهد النظام بإرجاع الأهالي إلى بيوتهم وعدم السماح لبعض الأطراف (مليشيا YPG) من دخول إلى الحي.

تفاصيل الهدنة

شن النظام بداية شهر آب الماضي عملية عسكرية واسعة على الحي، وجعل من الحي والمناطق المحيطة به منطقة عسكرية، استخدم فيها كل أنواع الأسلحة بما فيها الطيران الحربي والمدفعية الثقيلة.

بعد أكثر من شهر على بدء العملية العسكرية، تدخلت لجنة أهلية من بعض الشخصيات الدينية، وشخصيات اجتماعية وسياسية، وافق على دخولهم في هذه الوساطة الثوار، ومن أبرز هذه الشخصيات:

(الأب كبرييل، الشيخ ياسين أحمد، عبدالله مجول، عبد الرزاق مسلط، خالد السطم، صالح حويجة، عقبة الخالد، جورج طبو، موسى عيسى، الياس ديار بكرلي، ذيب كوركيس، حامد الكركو، محمد الفارس).

وكان قد تشكلت في وقت سابق لجنة أصغر مهدت لدخول اللجنة الحي.

دخلت اللجنة الحي ظهر يوم الثلاثاء، مع 10 سيارات نقل ركاب وباصين، من جهة إدارة المرور، ووصلوا إلى جامع مصعب بن عمير وسط الحي الذي كان يسيطر عليه الثوار، ورغم الاستفزاز الكبير الذي تعمده عناصر النظام، خرج الوفد المفاوض مع الثوار عند الساعة الرابعة عصراً.

أحد أعضاء الوفد المفاوض، "أشاد بجدية الثوار وانضباطهم ومسؤوليتهم، ونفي بشكل قاطع أن يكون بين الثوار أشخاص غرباء عن الحي، وأكد بأن لا ارتباط لهؤلاء المقاتلين بأي تنظيم متشدد على عكس رواية النظام التي اشاعها ليبرر اجتياحه الحي".

بعد عامين من الصمود

استمر الحراك الثوري في حي غويران على مدى عامين كاملين، رافقه حراك عسكري من أبناء الحي، تمكنوا خلال ذلك من إبقاء الحي خارج سيطرة النظام.

تعرض الحي خلال تلك الفترة لعدة حملات من قوات النظام المدعومة بشبيحته، ففي شهر شباط 2014 هاجمت قوات النظام حي غويران مدعومة بمليشيا "المقنعين"، وقصف الحي بالمدفعية الثقيلة، ما أدى لاستشهاد 14 مدنياً وتدمير عدد من المنازل.

كما شنت "وحدات حماية الشعب" التابعة لحزب PYD هجوماً على الحي في منتصف شهر آب الفائت، وحاصرت الحي، وقتلت العشرات من أبناءه، ليستكمل النظام الهجوم الذي بدأته الوحدات الأمر الذي تسبب في نزوح أكثر من 60 ألف، واستشهاد نحو 30 مدني بينهم نساء وأطفال.

النظام ينتقم من الحي الثائر

بعد خروج الثوار من الحي دخل جيش النظام وتعرضت منازل الثوار للحرق، وبعضها الآخر استهدف بقذائف "الأر بي جي"، أما منازل المدنيين المهجرين، فكان لها نصيب من السرقة والنهب.

إحدى نساء الحي قالت "سرقوا جهاز التلفاز وبعض الأغطية والبطانيات، إنه الجيش الباسل، طيلة غيابنا عن بيوتنا بقيت آمنة، إلى أن دخلها الجيش وشبيحة النظام".

في هذه الأثناء منعت قوات النظام أهالي الحي، من الدخول بعد مضي 3 أيام على خروج المقاتلين، بحجة تمشيط الحي وتفكيك العبوات المتفجرة، إلا أن ما جرى وبحسب شهود من أبناء الحي، هو حملة نهب وسرقة لمحتويات منازل الأهالي البالغ عددهم 60 ألف نسمة، رغم تظاهرهم ليومين متواصلين أمام مبنى المحافظة وحاجز الجسرين من أجل الدخول وتفقد منازلهم.

حي غوران في مدينة الحسكة | أيلول 2014

مولدات الأمبير في حلب
ترفض قرارات المحافظ وتبقي المواطن تحت رحمتها

■ حلب - فؤاد الأحمر

ساعتان فقط هي حصة أبناء حلب من الكهرباء يوميا، زيادة ساعات التقنين وانقطاع الكهرباء في بعض الفترات لعدة أيام جعلت بعض أصحاب المال يتاجرون بحاجة الناس للكهرباء ويستغلوها، فانتشرت في حلب مولدات الكهرباء الكبيرة والتي تعرف (بمولدات الأمبيرات) ففي كل شارع أصبح هناك مولدة توزع الكهرباء للبيوت مقابل مبالغ مالية حملت المواطن عبئا إضافيا، تجارة الأمبيرات أصبحت تدر المال الكثير على أصحابها وجنت ثروة كبيرة للبعض في وقت قصير.

قدمت مولدات الأمبيرات خدمة للناس وأصبح من الصعب الاستغناء عنها ولكنها لم تعوض الناس بشكل كامل عن الكهرباء النظامية كونها تعطي كهرباء ذات قدرة ضعيفة فتقتصر قدرتها على تشغيل الإنارة وتلفاز صغير وبعض الشواحن، كما يشتكي المواطن الحلبي من السلبيات الكثيرة لهذه المولدات ويقول عبد الله وهو من أبناء حلب «لقد شوهت هذه المولدات شوارع المدينة ففي كل شارع شبكة ضخمة من الأكبال الممتدة على أعمدة الكهرباء والجدران كما أن بعض المولدات تشكل خطراً على حياة الناس كالمولدة التي وضعت في شارع بيتي والتي وضع بقربها خزان للمازوت فأي ماس كهربائي سوف يؤدي لاشتعال المازوت وانفجار المولدة كما إن هذا الشارع يستهدف بشكل دائم بقذائف الهاون وجرر الغاز، وأنا في البداية كنت أرفض أن أشترك بالأميرات لكي تجن عبأ مصاريفها وكنت متأملا أن يتحسن واقع الكهرباء في المدينة ولكنني في النهاية أضررت أن اشترك وان اخصم من راتبي ثمانية آلاف شهريا لكي أدفعها لصاحبة مولدة الأمبيرات.

ألزمت الدولة أصحاب المولدات أن يكتبوا على علب الأمبيرات (تسعيرة الدولة 350 ل.س)ولكنها لم تلزمهم بأخذ هذا المبلغ من المشتركين فيباع اليوم الأمبير الواحد من الكهرباء ب 650 ليرة أسبوعيا مقابل 10 ساعات من الكهرباء يوميا، ويعتبر الكثير من الناس هذا المبلغ كبيرا ولكن الحاجة دفعت اغلب الناس للاشتراك بالأمبيرات، رغم أن اغلب الناس يدركون أنهم يستغلون من قبل أصحاب المولدات لكنهم تأقلموا مع هذا الاستغلال ويقول وائل وهو صاحب محل لتجارة المعدات الصناعية «كنت ضمن لجنة الصناعيين التي كلفت من قبل مجلس المحافظة لأجراء دراسة عن السعر الأمثل الذي سوف تلزم الدولة به أصحاب المولدات، فأجرينا دراسة على مولدة (100kva) وهي الأكثر انتشارا في حلب والتي تعطي 750 أمبير وتحتاج إلى 2000 ليتر مازوت أسبوعيا وبما إن الدولة أصبحت تعطي كل مولدة حاجتها من المازوت بسعر 65 ليرة للتر الواحد فقدرنا تكلفة الأمبير على صاحب المولدة إضافة إلى مصاريف اصلاح الأعطال ب 200 ليرة أسبوعيا وبعد أن قدمنا هذه الدراسة قررت المحافظة أن تلزم أصحاب المولدات بسعر 350 ليرة لأمبير الواحد ولكن هذه التسعيرة لم تنل أعجاب أصحاب المولدات مع أنها تحقق ربحا أسبوعيا بما يقارب 100 ألف ليرة».

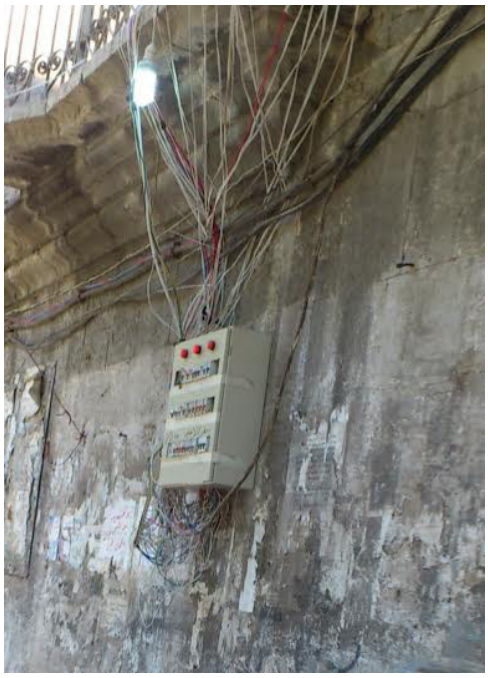

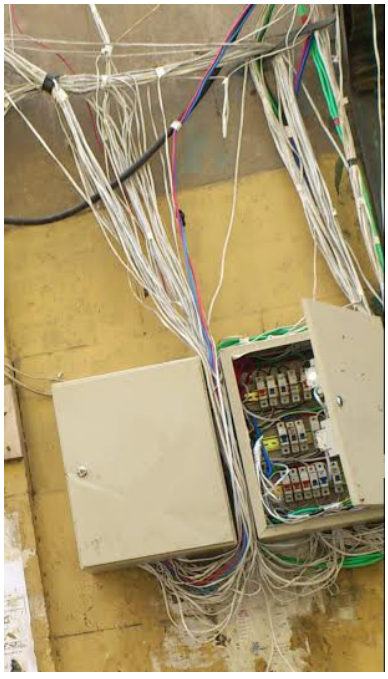

اشترطت الدولة على أصحاب المولدات بأن عليهم أن يرخصوا مولداتهم بشكل قانوني ووضعت شروط لهاذ الترخيص بينما يعترض بعض أصحاب المولدات على هذه الشروط ويصفونها بالشروط التعجيزية، يرفض الكثير من أصحاب المولدات الرضوخ لقرارات مجلس المحافظة ويطالبونهم بالتراجع عن القرارات التي اتخذوها بشأن التسعيرة الجديدة وتعديل الشروط المطلوبة للترخيص، ويقول أبو هيثم وهو صاحب مولدة في حي الحمدانية «أول شروط الترخيص هو أن أدفع 35 ألف ضريبة أشغال رصيف مع إن مولدتي موضوعة داخل محل، كما طلبت مني اللجنة أن أقدم لها البيان الجمركي للمولدة وشهادة التصنيع مع أنهم يعلمون إن هذه المولدة تجميع محلي وليست مستوردة، وفرضوا علي أن لا آخذ من المشتركين ثمن الأكبال الكهربائية والقواطع، كما قالوا لي أنهم لن يعطوني الترخيص قبل أن أصمم شبكة تهوية ومدخنة عالية لتصريف دخان المولدة، وفي النهاية يلزمني ب350 ليرة، فقررت أن أبيع المولدة».

بعد القرارات التي فرضها محافظ حلب على أصحاب المولدات عرضت الكثير من المولدات للبيع، كما قام بعض أصحاب المولدات بالإضراب وامتنعوا عن تشغيل مولداتهم، محاولة منهم للضغط على مجلس المحافظة، للتراجع عن القرارات التي اعتبروها جائرة بحقهم وسوف تلحق بهم خسائر كبيرة، وفي كل الأحوال يبقى المتضرر الأكبر هو المواطن الحلبي الذي أصبح تائه بين قرارات المحافظة وإضرابات أصحاب المولدات وارتفاع أسعار الأمبيرات وساعات التقنين الطويلة.

شبح التصفية والاعتقال يلاحق أطباء حلب والمستشفيات العسكرية في ورطة

■ حلب - عثمان إدلبي

تستنزف مدينة حلب كوادرها الطبية فمنهم من ذهب ضحية لقصف النظام المستمر للمراكز الطبية في أحياء حلب المحررة وآخرون اعتقلهم النظام بتهمة معالجة مقاتلين من الجيش الحر فحياة الأطباء وحريتهم أصبحت في خطر مما جعل الكثير من الأطباء العاملين في المناطق المحررة ومناطق النظام يفضلون السفر أو ترك مهنة الطب لكي لا يلقوا مصير زملائهم في الموت أو الاعتقال.

ندرة الأطباء الاختصاصيين زادت من معاناة المرضى في الوقت التي تمتلئ فيه المشافي والمراكز الطبية بالمصابين، فأغلب المشافي في حلب أصبحت تعتمد على أطباء غير اختصاصيين وعلى بعض الممرضين في أجراء العمليات ومعالجة المصابين.

يستمر النظام بتضييق الخناق على الأطباء العاملين في مستشفياته، فجميع الأطباء يخضعون لمراقبة شديدة من قبل عناصر الأمن، إلى أن وجد النظام نفسه قد فقد هؤلاء الأطباء الذين تركوا العمل في مستشفياته خوفا من تلفيق التهم والاعتقال، فحتى المشافي العسكرية التابعة للنظام تعاني اليوم من قلة الأطباء الجراحين وأخصائيي التخدير.

يقول الطبيب الجراح محمد رهوان: «لم أكن مرتاحا في عملي في مستشفى الرازي الحكومي في حلب وكنت أشعر بأنني مراقب طوال الوقت من عناصر الأمن الموجودين في المشفى كما أن عناصر الأمن كانوا يراقبونني في عيادتي، كما كنت أتعرض يوميا للكثير من الإهانات من قبل العساكر والشبيحة الذين يزورون المستشفى وكنت أضطر للسكوت عن هذه الإهانات كونه لا يوجد قانون يؤمن الحصانة والحماية للأطباء، الكثير من زملائي اعتقلوا من قبل النظام لأنهم عالجوا جرحى دون أن يبلغوا عنهم عناصر الأمن فكانت تهمتهم فتح مشافي ميدانية لمعالجة إرهابيين، فقررت السفر حفاظا على حياتي»

الشبيحة تملأ المشافي في حلب والمدنيون بلا رعاية صحية

حول النظام المشافي الحكومية المخصصة للمدنيين في مدينة حلب إلى مشافي عسكرية كون المشفى العسكري يكتظ بالمصابين من الجيش والشبيحة ويعاني هذا المشفى من نقص بالكوادر الطبية وخاصة الأطباء الجراحين، وتقول غصون وهي ممرضة في المشفى العسكري في حلب «هناك نقص في غرف الإقامة وغرف العناية المشددة، وهناك نقص في الكوادر الطبية فالمشفى يعتمد اليوم على طبيبين جراحين فقط وطبيب عظمية واحد ولا يوجد في المشفى طبيب تخدير، وجميع هؤلاء الأطباء هم من الضباط العسكريين الذين تطوعوا في الجيش وأن جميع الأطباء المدنيين الذين كان يعملون في المشفى تركوا العمل».

هذه المشاكل التي تواجه النظام في مستشفياته جعلته يحول الكثير من المرضى المقيمين في المشفى العسكري في حلب إلى مشفى الجامعة ومشفى الرازي، ففي مشفى الجامعة أصبح هناك (خط إسعاف عسكري) أي طريق خاص لكي تمر منه سيارات الإسعاف التي تقل العسكريين كيلا تعيق سيارات الإسعاف المدنية طريقهم كما إن المرضى العسكريين لا يترتب عليهم انتظار دورهم لإجراء العمليات والتحاليل المخبرية وتصوير الأشعة كباقي المرضى المدنيين الذين ينتظرون عدة أشهر لكي يتمكنوا من إجراء أي نوع من العمليات الجراحية في مشافي النظام، ويقول منير «أخذت أمي بحالة إسعافية إلى مشفى الرازي وعندما وصولنا إلى المشفى كان باب قسم الإسعاف مغلقاً وكان هناك العديد من سيارات الإسعاف تنتظر السماح لها بالدخول.

سألنا أحد السائقين عن سبب منعهم للسيارات بالدخول فأجاب بأنه «يوجد ضابط مهم في قسم الإسعاف ومنعونا من الدخول لكي لا ينشغل الأطباء بنا فهم يريدونهم أن ينقذوا حياة الضابط»، بعد نصف ساعة من الانتظار فتح الباب وبدأ العناصر بالصراخ وإطلاق الرصاص في الهواء ضمن ساحة المشفى حزنا على الضابط الذي مات في قسم الإسعاف، وعند دخولنا لغرف الإسعاف لم نجد أحدا من الأطباء فقالت لنا إحدى الممرضات أنه في مثل هذه الحالة يتوارى الأطباء عن الأنظار خوفاً من ردة فعل عناصر الأمن الغاضبين».

يواجه المرضى المتضررين بإصابات حرب صعوبة كبيرة في تأمين العلاج داخل مدينة حلب كالمصابين الذين فقدوا أجزاء من أطرافهم، فلا يوجد في حلب مراكز متخصصة بالأطراف الصناعية والمعالجة الفيزيائية، فلجأ المرضى الذين يحتاجون إلى أعمال جراحية دقيقة إلى تركيا وبعض الدول الأوربية.

تقول أم مازن «تعرض ابني لبتر في كلتا ساقيه من منطقة فوق الركبة نتيجة سقوط قذيفة هاون على منزلنا في حي الأشرفية، ذهبنا إلى مشفى الجامعة فاكتفوا بتضميد البتر وإعطائه عكازات، وبقي ابني دون علاج ثلاثة أشهر إلى أن استطاع احد أقربائنا المقيمين في تركيا أن يتواصل مع منظمة خيرية أمنت لنا رجل أعمال تكفل بمصاريف علاج ابني في إحدى المشافي التركية» ويقول الدكتور صفوان شرباتي «إن أغلب أطباء حلب لا يدخرون جهدا في مساعدة المرضى والمصابين، ولكننا نعاني من ضعف الإمكانيات وعدم توفر المعدات الطبية اللازمة للأعمال الجراحية الدقيقة، وإننا طالبنا المحافظ عبر نقابة الأطباء بدعم المستشفيات الحكومية بالمعدات اللازمة، والسماح للصيادلة بإدخال الأدوية الأجنبية المفقودة في حلب، وحتى ولو كان إدخالها بطرق غير قانونية كأدوية التخدير وأدوية أمراض القلب والجرعات الكيماوية لمرضى السرطان، ولكنا مازلنا ننتظر الرد».

الوضع الصحي في مناطق تنظيم "الدولة الإسلامية" بين غياب الكوادر ونقص الأدوية

■ الرقة – ناصر المحمود

تدهور الوضع الصحي في سوريا، ولا سيما في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام فتعرضت المشافي والمستوصفات لقصف ممنهج على مدى سنوات، ويمتد هذا التدهور للمناطق الخاضعة لسيطرة التنظيم حيث تزداد معاناة القطاع الصحي.

استولى تنظيم "الدولة الإسلامية" على المشافي العامة، وخصص لعناصره جناحاً خاصاً في كل مشفى استولى عليه، وقدم للمنتسبين لصفوفه الرعاية الصحية المجانية من علاج ودواء، في حين ترك عامة الشعب يعاني ألم المرض وألم نفقات العلاج وصعوبته، ولعل النقطة الإيجابية للتنظيم في إدارته للمشافي العامة تتمثل بإجبار ما تبقى من أطباء اختصاصيين بالدوام فترة معينة لتغطية النقص الشديد، أما المشافي الخاصة فتحولت إلى مسالخ لأن معظم الأطباء المستثمرين هاجروا وسلموا إدارة المشافي لمحاسبين من أقاربهم أو معارفهم همهم الوحيد يتمثل بالربح دون مراعاة الظروف الصعبة التي يمر بها الناس، ودون اعتبار للناحية الإنسانية لمهنة الطب.

يقول الطبيب (مجد): "معظم الزملاء هاجر خارج سوريا، وبقينا لنقدم لهذا المواطن ما نستطيع، ولم نرفع أسعار المعاينات وأجور العمليات إلا بشكل طفيف، وربما يكون الطبيب أقل المستفيدين، والذي يحقق الأرباح الفاحشة أصحاب المشافي الذين يأخذون نسباً عالية لا تتناسب مع الخدمة المقدمة، ولا تراعي أوضاع المواطنين المعيشية، فآخر اعتبار لمن بقي من الأطباء هو الربح المادي، ولو كنا نبحث عنه لهاجرنا".

وللصيدليات معاناة من نوع آخر فتحولت الصيدليات في ظل غياب الرقابة لبقالة يجلس فيها من يشاء، فندر أن تجد صيدلياً يجلس في صيدليته، وأغلب من يبيعون الدواء هم من حملة الشهادة المتوسطة الذين اتخذوا الصيدلة حرفة مربحة لهم، ففتحت الصيدليات دون تراخيص نظامية، وبات كل من يمتلك المال قادراً على فتح صيدلية، فبيعت الأدوية الأجنبية غير المراقبة، وتفاوتت الأسعار بين صيدلية وأخرى، وكثيراً ما تجد أكثر من تسعيرة على علبة الدواء، فبين فترة وأخرى تشطب التسعيرة القديمة وتوضع تسعيرة جديدة، ناهيك عن ندرة بعض الأدوية، وفقدان بعضها الآخر.

تقول (أم مروة): "أعاني من عدة أمراض، لذلك أتردد باستمرار للصيدليات، وكادت تحصل معي كوارث لولا خبرتي بالأدوية، فكثيراً ما يعطيني العامل في الصيدلية دواء مختلفاً بالعيار أو النوع، وكنت أنبههم على خطأهم، شباب صغار لا خبرة لهم وثقافتهم محدودة، ناهيك عن تفاوت الأسعار، فالدواء يختلف سعره بين الصيدليات".

بينما يعبر الصيدلي (عدنان) عن حزنه للوضع الذي وصلت له مهنة الصيدلة: "أساء التجار لمهنة الصيدلة التي لا تقل أهمية عن مهنة الطبيب، فلا رقابة على الصيدليات، وأصبح من هب ودب قادراً على فتح صيدلية، ناهيك عن استهتار كثير من الزملاء وتأجيرهم الصيدليات لأشخاص جشعين همهم جمع المال، ولو على آلام المرضى".

وتعاني المناطق الخاضعة لسيطرة التنظيم معاناة إضافية حيث منع التنظيم أغلب المنظمات الإنسانية العاملة في المناطق التي سيطر عليها، ووضع عدداً منهم في السجون بتهم عديدة، ومن هذه المنظمات (الرؤية العالمية) التي كانت تقدم خدمة طبية مجانية (معاينة، دواء) للمئات من أبناء مناطق ريف حلب الشرقي يومياً، كما تغيب في مناطق التنظيم المشافي الميدانية التي تُرعى من قبل جهات داعمة للثورة، أو منظمات دولية إنسانية، فالمشافي الميدانية في المناطق المحررة تقدم خدمة مجانية كاملة تشمل حتى العمليات الجراحية، وهذا ما تفقده المناطق الخاضعة لسيطرة التنظيم، حيث تم إغلاق مشفى جرابلس والذي كان برعاية الهلال القطري وقدم هذا المشفى الرعاية الصحية لآلاف من المصابين من الجيش الحر ومصابي القصف في ريف حلب الشرقي وأجرى مئات العمليات الجراحية.

يقو أبو "حسن": "لا أعلم الدوافع وراء منع نشاط المنظمات الإنسانية، هذه منظمات إنسانية ينبغي أن يوفر لها الدعم والحماية لا أن تغلق، فقد كانت تقدم العلاج والدواء في ظل تدهور الأوضاع عامة والصحي خاصة".

لعل هجرة الأطباء من أصحاب الخبرة والاختصاص كان لها أبلغ الأثر في معاناة السوريين، فقد هاجر معظمهم للدول العربية ومنهم من عاد لأوربا ومنهم من أقام في تركيا منتظراً استقرار الأوضاع، وزادت هذه الهجرة بعد سيطرة التنظيم ولا سيما من قبل الطبيبات اللواتي منعن من قبل قيادة السيارات، وأطباء النسائية الذين تمّ التضييق عليهم، ولا تقتصر هجرة الخبرات الكبيرة على مناطق التنظيم بل تتجاوزها لمناطق سيطرة النظام.

محمد طبيب جراح يبرر هجرة الأطباء بسبب تعرضهم للتهديد المستمر لهم: "يجب عدم لوم الأطباء على الهجرة، فقد تعرض كثير منهم لعمليات خطف وتهديد سواء لهم أو لأفراد أسرتهم بهدف المال، ناهيك عن المضايقات والتهديدات الأمنية، فالأطباء مجبرون على الهجرة وغير مخيرين".

ومنع تنظيم "الدولة الإسلامية" بداية حملات التلقيح وعارضها لكنه عاد وتراجع عن قراره وسمح لهذه العمليات السير بسلاسة لكن تحت إشرافه.

وأدت سيطرة التنظيم لحرمان كثير من السوريين فرصة العلاج في تركيا، فقد فتحت تركيا مشافيها العامة أمام السوريين غير أن إغلاق الحدود في هذه المناطق شكل عائقاً أمام علاج الكثيرين، فمات الكثير من السوريين أثناء رحلة الموت إلى تركيا بسبب طول المسافة.

كما أدت سيطرة قوات "الدولة الإسلامية" لزيادة الضغط على الناس وذلك بنقص الأدوية والأطباء الاختصاصيين وضعف أداء المشافي الخاصة وأصبح المواطن فريسة لطائرات النظام والمرض والفقر، دون البحث الجاد على إيجاد وسائل تعوض النقص الحاد بالأدوية أو تهيئة كوادر خاصة وهذا غير موجود في المدى المنظور وكل ما يهم التنظيم هو التوسع واحكام السيطرة المطلقة على المواطنين في مناطقه دون أي اعتبار لمشكلهم وخصوصاً الصحية.

لواء الخنساء وكتيبة أم الريان
لون آخر لإذلال نساء الرقة

■ مها الخضور

"الجهاد لم يفرض على الرجل وحده وإنما على المرأة القيام بواجبها الجهادي أيضاً"، لعل هذه العبارة هي أكثر ما يمكن لمقاتلي "الدولة الإسلامية" أن يرددوه لتبرير تأسيس الكتائب والألوية النسائية في أماكن سيطرتهم في سوريا وأهمها لواء الخنساء وكتيبة أم الريان. واللافت أن قيادات كل من هاتين المجموعتين هن من البريطانيات اللواتي حظين بعلاقات جيدة مع قيادات التنظيم وأغلبهن من زوجات هؤلاء المقاتلين. وقد ذكرت العديد من التقارير ان أكثر من 60 امرأة بريطانية التحقن بلواء الخنساء وحده بهدف "تطبيق الشريعة الإسلامية" كما يرينها. ولكن التقارير القادمة من الرقة تؤكد ان الهدف الأساسي من تشكيل هذا اللواء أو غيره هو التمكن من معرفة هوية الناشطين الذين يضطرون للتنكر بملابس النساء أحياناً للهروب من سطوة "الدولة الإسلامية" وتجنب الاعتقال.

ولعل أشهر تلك النساء هي البريطانية "أقصى محمود" 20 عام والتي فرت إلى سوريا في تشرين الثاني الماضي بقصد الجهاد هناك، وجدير بالذكر أن غالبية النساء البريطانيات اللواتي انضممن للقتال في صفوف "الدولة الإسلامية" تتراوح أعمارهن بين 18و24عاماً، إيماناً منهن بأنهن يساهمن في تأسيس دولة الخلافة الإسلامية. تتقاضى النساء الشرطيات حوالي 25000 ليرة سورية في الشهر أي ما لا يتجاوز 100 جنيه استرليني مقابل قيامهن بواجباتهن الجهادية. وعرف من التشكيلات النسائية لواء الخنساء وكتيبة أم الريان اللتان تقودهما أربع نساء ممن ارتبطوا بعلاقة وثيقة مع "الجهادي جون" المسؤول عن ذبح الصحفيين الأمريكيين جيمس فولي وستيفن سوتلوف، وفق تقارير استخباراتية غربية.

قبل أيام وجه والدا المدعوة "أقصى محمود" نداء لابنتهما عبر الصحف ووسائل الإعلام الاسكتلندية يطالبانها فيه بالعودة والتراجع عن المشاركة في عمليات الإبادة الجماعية، واتهم الوالدان ابنتهما بخيانتهما وخيانة المجتمع الاسكتلندي بذهابها للقتال في سوريا. وتعليقاً على هذا الموضوع قالت ميلاني سميث الباحثة في شؤون التنظيمات الجهادية: "إن النساء البريطانيات هن الأكثر حماساً للذهاب والأكثر تشدداً في تعاملهن مع النساء السوريات، ولعل هذا يبرر اختيارهن كمسؤولات في تنظيم الدولة الاسلامية".

وعلى الرغم من كون الرقة مدينة سورية محافظة أساساً ونساؤها يرتدين الحجاب قبل أن تتشكل "الدولة الإسلامية"، إلا أن القوانين الجديدة تعتبر خانقة ولا تستطيع جميع النساء الالتزام بها مما يعرضهن لعقوبات كثيرة كالجلد أو دفع الغرامات وغيرها. فمثلا ليس كافياً أن ترتدي المرأة حجابا أسوداً إذ أن شرطيات "الدولة الإسلامية" يقررن درجة سماكة النقاب أو الحجاب وإلا فإن المرأة ستتعرض للاعتقال وإنزال العقوبة بها، وبالفعل تعتبر هذه المخالفة هي الأكثر شيوعا والتي تسببت بعقاب الكثيرات من نساء الرقة.

وقد داهمت شرطيات لواء الخنساء مدرستين للبنات هما مدرسة حميدة الطاهر ومدرسة عبد الهادي كاظم في المدينة واعتقلت 10 فتيات تتراوح أعمارهن بين 15 و17 سنة واقتادتهن خارج المدرسة وقامت بجلدهن أمام المحكمة الإسلامية وبقيت الفتيات رهن الاعتقال لمدة ست ساعات. وأما عن المخالفات التي ارتكبتها الفتيات فقد تنوعت ما بين "ظهور الحواجب من تحت النقاب أو وضع مشبك في شعر الفتاة"، وقد اعتقلت أمينة السر في مدرسة حميدة الطاهر أثناء اعتقال طالبات مدرستها وتم نقلها بعد الافراج عنها إلى المشفى لإجراء عملية جراحية لها ولكنها رفضت الحديث عن أسباب نقلها إلى المشفى وإجراء العمل الجراحي.

وفي لقاء لأحد قياديي "الدولة الإسلامية" مع وكالة abc نيوز الأمريكية قال: " لقد شكلنا هذه الكتيبة لرفع الوعي الديني بين النساء، ومعاقبة النساء الذين لا يلتزمون بالقانون"، مضيفاً أن الكتيبة مؤلفة من النساء فقط وأن التنظيم قدم مرافق خاصة لها لمنع الاختلاط بين الرجال والنساء. وأضاف:" إن المنظمة تحتاج إلى كتيبة من الإناث من أجل زيادة الوعي بين النساء، واعتقال ومعاقبة النساء الذين لا يتبعون الدين بشكل صحيح، فالجهاد ليس واجب على الرجل فقط، ويجب على المرأة أن تقوم بدورها أيضاً. "

أما سلمى 35عام فهي امرأة من الرقة اعتقلت من قبل مقاتلات "الدولة الإسلامية" قبل أربع أشهر، وتروي حادثة اعتقالها وعقابها بالجلد قائلة:" كنت أسير في الشارع عندما توقفت سيارة فجأة، وخرجت منها نساء مسلحات أهانوني وصرخوا في وجهي وأخذوني إلى المعتقل وأبقوني في غرفة دون أن يتحدث إلي أحد أو أن أعرف سبب اعتقالي، وبعد ذلك جاءت إحدى نساء اللواء، وبدأت تختبر معرفتي بالصلاة والصيام والحجاب وهي موجهة السلاح إلي. " ثم تضيف: "لم أرتكب جرماً أو أخالف شرعاً لا سمح الله فأنا مسلمة وأعرف واجباتي الدينية والحمدلله، إلا أن معرفتي بأمر الدين لم تمنع شرطيات لواء الخنساء من جلدي بحجة أن نقابي لم يكن سميكا بما فيه الكفاية حسب ادعائهن"، ثم روت لنا أحاديث دينية وآيات قرآنية جميعها تثبت أن غطاء الوجه ليس من شرع الإسلام بل إنه حرام لأن الإسلام فرض إظهار الوجه الذي كرمه الله ولأنه هوية الإنسان واستغربت من أين تستمد "الدولة الإسلامية" قوانينها الدينية التي تلزم الناس بها في الرقة وبقية المناطق التي سيطرت عليها بقوة السلاح.

الكثير من الحوادث والحالات تخطت مرحلة الاستثناء، إلى مرحلة القاعدة التي أصبحت تحصل يومياً مع أغلب الناس، بل أصبحت هذه المشكلات تذكر من باب التندر أحياناً، فالكثير من الأشخاص يتكلم عن مروره بحالات عن عدم معرفته لابنته، أو أخته، أو زوجته، أو والدته، لأن كل النساء أجبرن على ارتداء ذات اللباس، المتمثل بالعباءة السوداء والحجاب، وتغطية الوجه، وقفازات اليدين. وتؤكد الشابة آلاء بأنه لا يكاد يمر يوم إلا وتوقفها إحدى السيدات أو الفتيات لظنها بأنها أختها أو ابنتها وتضحك بسخرية تغلبها المرارة من هذا القدر الذي أحاق بمدينتها وبسكانها رجالاً ونساءً وتقول: "وصلنا إلى زمن بتنا نميز أخواتنا وصديقاتنا من أحذيتهن إن كنا في الشارع".

بائع الحكمة في زمن الجنون

■ سلطان جلبي

بصوت خافت وبعد أن اقترب منّا، همس أبو فاضل: «الجميع يكذب هنا، كل أسبوع تأتي لجان من الإغاثة وتوزيع المساعدات لهم، لكنهم يريدون المزيد دوماً». كان اللاجئون المحتمون بأحد المواقع الأثرية في ريف إدلب يُدعى «سرجيلا»، قد أكثروا من الشكوى حول أن لا شيء من المساعدات الانسانية يصل لموقعهم تعيس الحظ. لكن أبو فاضل قرر أن يطلعنا على الحقيقة ولو سراً، إنه ناقم على الجميع هنا، إذ لا أحد من سكان «سرجيلا» الجدد وافق أن يرافق الشيخ إلى بلدته «كفرومة» والمساعدة في إزالة الركام عن بقايا منزله، يقول: (طلبنا أن يأتوا معنا فقط لنزيل بعضاً من تلك الحجارة، ربما يأتي ابن حلال ويعيد بناء المنزل لنا، لكنهم تهربوا، وأنا لن استطيع فعل ذلك بمفردي).

تلك أكبر أحلام أبو فاضل، الشيخ الثمانيني الذي يرى أن جميع من حوله قد جنوا، وأنه بقي وحيداً يحاول فهم كل ما يحدث، دون أن يتمكن من إقناع أحد بما يراه، فكان الحل برأيه أن بدأ بجمع الأطفال اللاجئين في «سرجيلا»، بالضبط في ذلك الجزء المسقوف من القصر الروماني الشاهق حيث يسكن، وبدأ عمله بالحديث اليهم، والقراءة تارة أخرى، محاولاً مساعدتهم بطريقة لا يدركها أحد سواه.

يعتني الأطفال جيداً بأبي فاضل، يبدون أيضاً سعداء برفقة، خاصة بعد أن يملوا اللعب طوال النهار، تكون ساعات المساء موعداً لتجمعهم حول العجوز، للاستماع إليه بل وأحياناً مشاكسته، والضحك بكثافة حين يستشيط غضباً من فعل أحدهم. بدوره يثق أبو فاضل أن الأطفال يدركون ما يحدث أكثر من آبائهم، المجانين على أي حال برأيه، لذا يوليهم اهتمامه معظم الأوقات، محاولاً إنقاذهم من السقوط في مستنقع الجنون المحيط بهم، كما يصفه. (الثوار يحمون الأطفال بالبندقية، وانا احميهم بحكاياتي واحاديثي) يقول مقهقهاً أبو فاضل. هو لا يملك الكثير من العلم كما يقول، مجرد عجوز أمضى حياته في الرعي، وربى اربعة ابناء. لكن القصة تعود لأكثر من سبعين عاماً، حين كان أبو فاضل في الكتاب وخُيير بين الحفظ الأصم للقرآن وبين تعلم القراءة، فأختار القراءة. لكنه بالمقابل يثق كثيراً بأن القبضات «أجهزة الاتصال الراديوية» تنقل كل ما يحدث بسرعة ومصداقية، ويتحسر على أنه لا يملك إحداها ليبقى مطلعاً على كل ما يحدث، ويعود فيقول: (الحمد لله، فالأخبار تصل الينا حيث نحن)، ذلك يكفيه كي يبدي رضاه عن أداء الثوار قائلا: (إنهم يعملون بشكل جيد.. يقفون بوجه الطائرات والصواريخ، سوف ينتصرون على جماعة النظام لأنهم الأكثر صبراً، والأمور لن تبلغ أسوأ مما هي عليه الآن.. أكثر من هيك؟!!).

غالباً ما يحدث أبو فاضل الأطفال عن قريته مبتهجاً بتحولها إلى بلده: (دكاكين وفروج وحلويات وأناس كثر، على مد النظر يمتد سوق «كفرومه»، سآخذكم يوما ما إلى هناك، وأشترى لكم البوظة لتأكلوها وتسيروا في السوق، الكثير من الأشياء الجميلة هناك)، للأطفال خيالاتهم الغنية حول ما يرويه أبو فاضل، لكن لا أحد منهم قد يتخيل ما في ذهن العجوز من صور حديثةٍ عن ذلك، يقول لنا سراً (كل شيء سوي بالأرض، أتت الطيارة وضربت كل شي)، يعود فيصارح الأطفال، (الحجارة التي دمرت سيعود الطيبون لإعمارها.. ماذا إذاً؟ هل يحب أحد أن يعيش وسط الخراب؟...) ويختم ذلك بابتسامه الواثق، ليعاود حديثه عن السوق.

لأبو فاضل اربعة ابناء متزوجين، أثنان منهم يقيمون بجانبه في أحد المباني الرومانية في «سرجيلا»، آخر خرج للعمل في تركيا منذ عام، والأخير بقي في البلدة مقاتلاً مغواراً كما يصفه الأب، كذلك هو حال جميع الأسر في هذا المكان، أربعون أسرة من أهل «كفرومه» يعيشون هنا سوية، من أصل ثلاثين الف إنسان عاشوا هناك. هي من أكثر بلدات ريف ادلب التي دفعت شهداءً عن الجبهات، خمسمئة شاب من أبناء تلك البلدة قضوا في معارك ضد جيش النظام، أما الشهداء المدنيون فعددهم يفوق ذلك بكثير، واليوم يبدي أبو فاضل سروره الكبير من تماسك أهالي «كفرومه» مع بعضهم في الغربة، حتى أكثر مما كانوا عليه حين وجودهم في البلده: (لقد أصبح الناس يداً واحدة بعد نزوحنا، كل ليلة ينادي الرجال بعضهم البعض للتجمع وقصاء الأمسية سوية لدى أحدهم، أما هناك فالأخ لم يكن يرى اخاه).

تناقضات شتى تلتئم في شخصية أبو فاضل وآراءه، تعبر عن صدمة عجوز أتى من عالم اخر، متفاجئ بهول يغمر كل شيء حوله، لكنه تمكن من التوازن بقدرة الأصيل المتجذر عميقاً، وحاول أن يفعل شيئاً لحماية جيل الأبناء، مادام آبائهم مشغولون بالسب والندب.

أزمة المياه في المناطق المحررة
حلول بديلة وجهد تكافلي

■ خضر سلمان

في مواجهة الحرب المفتوحة التي يقودها نظام الأسد ضد الشعب السوري، برزت في وقت مبكر، في المناطق المنكوبة بالمعارك والقصف العشوائي المتواصل ، الحاجة إلى إيجاد هياكل تنظيمية بديلة تحل محل مؤسسات الدولة بصورة مؤقتة، وتقوم بواجب تسيير المصلحة العامة وتدبُّر مسائل الأمن في الأحياء والقرى، ومصادر الطاقة، والنظافة، وأعمال الإغاثة والدفاع المدني، وولدت من رحم هذه الحاجة الملحة، تجربة المجالس المحلية في سوريا، كشكل من أشكال التسيير الذاتي، وفي مساحات واسعة من المناطق السورية المحررة من نظام الأسد اليوم، سترى كتلا كبيرة من البشر المنهمكين، ترتدي بزات عمل موحدة وتقوم بأعمال غاية في الضرورة، شباب ينتشلون العالقين من تحت الأنقاض، آخرون يزيلون مخلفات القصف، وآخرون يعتنون بالجرحى.

يمكن القول إن الجهد الجماعي بغرض توفير الاحتياجات الأساسية، والتماس ما يعين الناس على التشبث بالحياة، بات اليوم ثقافة ثورية سورية بامتياز.

قطاع واسع من القرى وشريط زراعي ضخم يحيط بمنطقة جبل الزاوية في ريف إدلب، يعانون اليوم جميعا من مشكلة انقطاع المياه عن المنطقة، حيث تسببت الحرب في تدمير شبكات المياه النظيفة، سواء في خضم المعارك المتواصلة أو عبر الاستهداف الممنهج المتعمد من قبل قوات نظام الأسد.

ويواجه أهالي جبل الزاوية بريف إدلب، أزمة انقطاع المياه عن المنطقة، عبر التفكير في حلول بديلة. هكذا، وبما يمكن توفيره من الآليات، وبجهد تكافلي، جرى حفر عدة آبار لاستخراج المياه من باطن الأرض. يشرح لنا صاحب أحد مشاريع الآبار الصغيرة حاجة القرية قائلا: "حفرنا بئرا لأننا نريد أن نشرب وأن تشرب الناس. هناك شح في الأمطار، وما من مياه تكفي لسقاية أراضينا".

يحظر القانون السوري المرعي من قبل نظام الأسد حفر الآبار السطحية على امتداد البلاد، واستمرَّ الحظر خلال السنوات السابقة على الثورة، خوفاً من نضوب المخزون، لكن الأهالي هنا يتحدثون عن أسباب أخرى لهذا المنع الرسمي.

ولدى سؤالنا أحد المسؤولين في المجلس المحلي للقرية، والذين بالتنسيق معهم، عادةً ما تتم عمليات الحفر وتوفير المعدات، أكد وجود دوافع أخرى. "النظام كان يرفض السماح لنا بحفر الآبار السطحية، لأنه كان يريد فرض هيمنة شاملة، وكان جزءاً من هذه الهيمنة إجبارُ المواطنين على التزام مستوى دخل محدد، لا يريد نظام الأسد بأي شكل أن يتمكن المواطنون المزارعون هنا من رفع مستوى الدخل إلى ما فوق حد معين. كان يفرض علينا أيضا ضرائب كبيرة وأحيانا فوق مقدورنا، وهذا كان مخططا له بعناية".

لكن من جهة أخرى، يتخوف مراقبون في المنطقة من تبعات الحفر العشوائي للآبار السطحية، الأمر الذي قد يضع سوريا في مكان حرج على لوائح الدول ذات العجز المائي. وذلك ما دفع المجالس المحلية التي تنسق مع الأهالي، إلى إيجاد صيغة وسطية، تؤمِّن المياه الضرورية للأهالي، وتحافظ بالمقابل، على مخزونات المياه قدر المستطاع.

يتابع المسؤول في المجلس المحلي حديثة موضحا: "بسبب قلة الدعم والتمويل، لم نتمكن من مطالبة الناس بإيقاف عمليات الحفر العشوائي، إلا بعد أن نستطيع توفير البديل، استطعنا تدبر المسألة أحيانا، لكننا في حاجة ماسة إلى الدعم المادي من كافة الجهات القادرة على تمويل هذا النوع من الجهد الأهلي" .

ينبني على ذلك إذن أن تحديات حقيقية تعترض سبيل الإدارات المدنية البديلة، وبين السعي العفوي من قبل المواطنين لارتجال الحلول العملية للواقع الخدمي المزري في أحيائهم وبلداتهم، والحرص الواجب، على المخزونات الطاقية الاستراتيجية للأجيال القادمة وتدارك حصول عجز مائي في المساحات الزراعية التي يحصل فيها الحفر العشوائي وشبه العشوائي، كحالة البئر الذي زرناه، واطلعنا على أعماله الميدانية، يتحرك ناشطو المجتمع المدني والمجالس المحلية ضمن هذا الحيز الحساس، محاولين التحايل على مسائل الدعم المقبل، وندرة الأدوات، حيث تعمل الكوادر لأوقات مضاعفة، ويبذلون جهودا نوعية محاولين ببذل التعب تدارك النقص الذي يفرضه ضعف أو انعدام التمويل أحيانا.

يقع في مقدمة العوامل التي ستحسم معاناة المدنيين في عموم المناطق السورية، كما يعرف الجميع، إيقاف العمليات العسكرية المفتوحة وخصوصا تلك التي تستهدف المناطق السكنية، ما يعني توقف القصف الذي يلحق الضرر يوميا بالبنى التحتية، ومن ثم يمكن التعويل على خطة وطنية شاملة يستعيد فيها المجتمع الأهلي المبادرة، وبمساعدة من المنظمات غير الحكومية والوكالات الأممية والداعمين الدوليين والمحليين، يصير من الممكن في المستقبل المأمول، إعادة بناء البنية التحتية المدمرة، وحماية المصادر الطاقية والثروات القومية. إلى حينها، سيظل الناس العطاش والمحتاجون إلى الماء لسقاية الأراضي، في المناطق المعرضة للقصف اليومي والحصار المتفاوت الشدة، سيظلون يرتجلون الحلول المؤقتة، ويحاولون بين القذيفة والقذيفة، حفر بئر يؤمن الماء لمن قد يعيشون إلى الغد..

مصدر الفيديو مؤسسة سمارت

حين تقرر أميركا القتال
دوافع السياسة الخارجية الأميركية في العقود الأخيرة

■ ياسر مرزوق

لم يعد الإرهاب شخصاً وحيداً أو معه عصبة أشخاص التقوا في الخفاء على اغتيال رجل أو امرأة انتقاماً من الشر أو إتقاءً له، كما يقول تاريخ الاغتيالات السياسية، كما لم يعد الإرهاب اتحاد جماعات لها هدف معين نحو اليمين أو نحو اليسار (كالألوية الحمراء في إيطاليا), إنما أصبح وفقا لمعطيات اللحظة التي نعيشها, كتلاً ممتدة عبر الأوطان والقارات تجمع عناصر من أصحاب القضايا العادلة التي نزلت عليها أثقال العصر فكادت تطحنها, ومن الناقمين على الفقر في كل مكان, ومن المحبطين في آمالهم لكافة الدواعي, ومن الساخطين على فجوة اجتماعية تزداد يوماً بعد يوم, ومن التائهين في الماضي بغير عقل والشاردين في المستقبل بغير روح, لأن هؤلاء على اختلاف مشاربهم كونوا حلفاً تربطه شحنات رفض متضاربة تعرف ما لا تريد لكنها لا تعرف ما تريد .

والإرهاب اليوم مسلحٌ بثورة التكنولوجيا الحديثة التي اقتحمت كل الساحات بما فيها ساحة الإرهاب, فقد أعطت التكنولوجيا وما تقدمه من تسهيلات في مجال المراقبة والاتصال والتنصت والتسليح والتجنيد، للإرهاب، طول يد لم يعرفه في تاريخه تحت مرأى ومسمع العالم واستخباراته.

أخيراً استفاق ساكن البيت الأبيض الفرح بجائزةٍ للسلام لا يستحقها على أن كردستان ومصير الأقليات اليزيدية والمسيحية في خطر, وهو اهتمام مستحق وله ما يبرره أخلاقياً وسياسياً، وأخذ يعد العدة لتحالفٍ دولي ضد الإرهاب المتمثل بـ"داعش" وأخواتها, متناسياً أن داعش على وحشيتها لم تصل لما فعله النظام السوري بشعبه على مدى أربعة أعوام, ولم يعر اهتماماً لحقيقة أن ضحايا النظام تجاوزوا الـ200 ألف قتيل، ومئات الآلاف من الجرحى والمعوّقين والمفقودين، وأكثر من 10 ملايين هجّروا بين منافي الداخل والخارج.

يبدو الموقف الأمريكي ضبابياً وغامضاً, فأمريكا التي تباطأت في دعم الجيش الحر وتباخلت عليه, حتى فقد قدرته على أن يكون شريكاً أساسياً في الحرب على "داعش" التي التهمت الكثير من مواقعه, تطرح اليوم خطة لتدريبه قد تستمر لسنوات. في المقابل لم تقف روسيا وإيران عن دعمها الكامل للنظام, الذي يجدها اليوم فرصة ذهبية لاسترداد شرعيةٍ افتقدها، بينما تصر السعودية وتركيا على توسيع العملية لتشمل نظام الأسد و داعش أيضاً.

وعن الموقف الأمريكي المتردد والمتخبط، كتب توماس فريدمان في مقال نشرته نيويورك تايمز: "إن ثمة حاجة إلى الوضوح تماما قبل قيادة حملة ضد داعش، فيما يتعلق بمعرفة: عمّن نحارب بالنيابة؛ فتنظيم داعش لم ينشأ مصادفة ولم يأت من لا مكان, كما أنه لن يقوم استقرار ذاتي قادر على البقاء ما لم توضع نهاية للحروب الأهلية ويتم إرساء قاعدة لنظم حكم عادلة ومواطنية".

وأضاف: "لطالما رأينا خطأ أن المشكلة تكمن في "التدريب"، بينما المشكلة الحقيقية تكمن في "طريقة الحُكم"؛ لقد أنفقنا مليارات الدولارات في تدريب جنود عراقيين لاذوا بالفرار أمام داعش ليس لافتقارهم للتدريب الكافي، وإنما لمعرفتهم أن قادتهم من الضباط لم يحصلوا على رُتبهم وشاراتهم عن جدارة واستحقاق بل لأن النظام فاسد، ولمعرفتهم كذلك أن حكومة المالكي لم تكن تستحق الدفاع عنها، كما تناسينا في أمريكا مدى احتياج وتطلع الشعوب العربية الثائرة إلى نُظم حُكم نزيهة وعادلة".

كما انتقد الكاتب "ديفيد فروم" خطة أوباما قائلاً: "المشكلة هي سياسة الولايات المتحدة في سوريا والعراق، والتي تصر على تفجير أكثر الأعداء عنفا للرئيس السوري "بشار الأسد" ومساعدة إيران، في حين أن أمريكا لا تحصل على شيء في نهاية المطاف".

يراهن أوباما اليوم على استغلال الحملة الجديدة لمكافحة إرهاب داعش، ليشيع الانطباع بإعادة استلام زمام المبادرة السياسية، خارجيا وداخليا، بعد اتهامات قاسية له بغياب القدرة القيادية الضرورية لحماية المصالح الأميركية، حتى أن إحدى الصحف الكبرى عنونت افتتاحيتها "أوباما يعلن الحرب على نتائج الاستطلاع المتردية".

أوباما الذي بذر البذرة الأولى لداعش في التربة السورية والعراقية عندما "تعامى" عن جريمة قصف غوطة دمشق بسلاح بشار الأسد الكيماوي, خائفٌ على شعبيته المتدنية. الجميع يتهمه بالضعف والتقصير, مؤيدو أوباما ضد «داعش» لم يتعدوا ٪32، بينما أكثر من ٪55 يرونه متردداً ومتخبطاً في استراتيجيته. لا بد إذاً من عمل خارجي لتحسين الشعبية قبل الانتخابات القريبة.

في ملفنا اليوم نلقي الضوء على نظرية المصلحة التي تحكم السياسة الأمريكية, وتواطؤ الإعلام والسياسة في صناعة الحرب بعيداً عن ادعاءات الحرية والعدالة وحقوق الانسان .

خطة أوباما

حدد أوباما في خطابه الأخير ملامح استراتيجيته ضد داعش قائلاً:

أولا، سنقوم بحملة منظمة من الضربات الجوية ضد هؤلاء الإرهابيين. وبالعمل مع الحكومة العراقية سنوسع إطار جهودنا لتتجاوز حماية شعبنا نحن ومهماتنا الإنسانية، بحيث نضرب أهدافا لداعش بالتزامن مع قيام القوات العراقية بالهجوم. إضافة إلى ذلك، فإنني أوضحت أننا سنطارد الإرهابيين الذين يهددون بلادنا أينما وجدوا. وهذا يعني أنني لن أتردد في اتخاذ إجراء ضد داعش في سوريا بالإضافة إلى العراق. وهذا مبدأ أساسي لولايتي الرئاسية: إذا هددتم أميركا، فإنكم لن تجدوا ملاذا آمنا.

ثانيًا، إننا سنزيد دعمنا للقوات التي تقاتل هؤلاء الإرهابيين في الميدان. يوم 1 حزيران يونيو أصدرتُ توجيهاتي بإيفاد عدة مئات من العسكريين الأميركيين إلى العراق لتقييم كيف يمكننا دعم قوات الأمن العراقية على أفضل وجه. والآن، بعد أن استكملت هذه الفرق مهمتها وشكل العراق حكومة، سنقوم بإرسال 475 عسكريًا آخرين إلى العراق. وكما ذكرت آنفا، هؤلاء العسكريون الأميركيون لن يشاركوا في أية مهام قتالية ولن نستدرج لحرب برية أخرى في العراق. لكن ثمة حاجة لهؤلاء العسكريين لمساندة القوات العراقية والكردية في مجالات التدريب والتخابر والعتاد. كما أننا سندعم جهود العراق لتشكيل وحدات الحرس الوطني لمساعدة المناطق السنية على تأمين تحريرها من سيطرة داعش.

وعبر الحدود، في سوريا، رفعنا من مساعداتنا العسكرية للمعارضة السورية. وهذه الليلة فإنني أهيب بالكونغرس مرة ثانية كي يمنحنا تفويضًا وموارد إضافية لتدريب هؤلاء المقاتلين وتزويدهم بالعتاد. وفي القتال ضد داعش لا يسعنا أن نعوّل على نظام كنظام الأسد الذي يرهب شعبه نفسه؛ نظام لن يستعيد بتاتًا الشرعية التي فقدها. وعوضًا عن ذلك، علينا أن نقوي المعارضة باعتبارها أفضل من يشكل التوازن المتكافئ مقابل متطرفين مثل داعش وفي الوقت ذاته السعي للتوصل إلى حل سياسي بهدف إنهاء الأزمة السورية إلى الأبد.

ثالثًا، سنواصل الاعتماد على قدراتنا الهائلة لمكافحة الإرهاب منعًا لهجمات داعش. وبالعمل مع شركائنا سنضاعف جهودنا لمنع مصادر تمويله؛ وتحسين الاستخبارات؛ وتعزيز دفاعاتنا؛ والتصدي لعقيدتها المشوهة؛ وضبط تدفق المقاتلين الأجانب إلى الشرق الأوسط ومنه. وخلال أسبوعين سأتولى رئاسة اجتماع لمجلس الأمن الدولي لحشد المجتمع الدولي بدرجة أكبر بشأن هذه المهمة.

رابعًا، سنواصل توفير مساعدات إنسانية للمدنيين الأبرياء الذين شردتهم هذه المنظمة الإرهابية. ومن هؤلاء الأبرياء مسلمون سنّة وشيعة يواجهون خطرًا شديدًا، إضافة إلى عشرات آلاف المسيحيين وغيرهم من أبناء الأقليات الدينية. ونحن لا يسعنا أن نسمح لهذه الطوائف أن تطرد من مواطنها العريقة.

الولايات المتحدة ونظرية المصلحة

لا بد من الإشارة إلى أن الولايات المتحدة, المجتمع والدولة, عندما نمت وزادت وتراكمت, أصبح عليها أن تخرج من عزلتها وأن تتوسع بالمصالح والنفوذ إمبراطورياً, وتلك طبائع الأشياء بعد قوة الأشياء, لكنه كان لافتاً أن أمريكا شاركت في الحربين

العالميتين الأولى والثانية بغير نظرية أمن, وكانت تلك أول امبراطورية في التاريخ لديها نظرية مصالح وليس نظرية أمن, ذلك أنه في غياب التهديد لا يوجد مطلب أمن .

وعلى سبيل المثال فإنه خلال حربين عالميتين, لم تكن الولايات المتحدة في أي وقت معرضة للغزو, ولا كانت مدينة من مدنها مكشوفة أمام طيران مغير, ففي أوروبا مثلاً ضربت كل العواصم, بل واحتل معظمها, باريس, روما, أثينا, فيينا, وارسو, براغ, برلين, وفوقها نصف موسكو على الأقل, ونفس الشيء عواصم آسيا, وفي مقدمتها طوكيو وبكين وسنغافورة.

لكن نيويورك وواشنطن ظلتا طوال سنوات الحرب تمارسان حياتهما العادية , ولا يشملهما خطر أو مظنة خطر, ويلفت النظر أكثر في غلبة "نظرية المصلحة" وغياب "نظرية الأمن" أن الولايات المتحدة الأمريكية اتخذت قرارها بدخول الحربين العالميتين بناءً على حسابات هادئة باردة تجري تقديراتها من بعيد, وتدقق وتختار لحظتها المناسبة, وحين تكون الضرائب أقل والفوائد أكثر, ففي الحرب العالمية الأولى ظلت الولايات المتحدة تتابع ما يجري على المسرح الأوروبي, ثم قررت الدخول عام 1917, وكانت نهاية الحرب عام 1918.

وفي الحرب العالمية الثانية ظلت الولايات المتحدة تنتظر حتى بعثر هتلر جيوشه في القارة الأوروبية وشمال إفريقيا، وأكثر من ذلك تورط في بحر الثلج الروسي بغزوه للاتحاد السوفيتي عام 1941, وبعد خمسة شهور وعلى استحياء، بعد الغارة اليابانية على ميناء "بيرل هاربر" دخلت أمريكا الحرب العالمية الثانية، في الوقت الذي كانت فيه هزيمة جيوش المحور شبه محققة .

وكان دخول الولايات المتحدة إلى حرب إرث الإمبراطوريات القديمة تطبيقاً رائعاً لاستراتيجية كان يمارسها القرصان الشهير الكابتن "مورجان" في القرن السابع عشر، والذي كان يرى أن القرصان العظيم هو الذي يهاجم القراصنة الصغار العائدين بغنائمهم من مهاجمة السفن المتناثرة في البحار, أو العائدين من الغارات على الموانئ المصدرة للذهب في البحر الكاريبي, كان رأيه ترك القراصنة الصغار يقومون بالعمل القذر ثم الاستفراد بهم وهم محملون بالغنائم, وكذلك فعلت الولايات المتحدة، فهي لم تذهب لتستولي على المستعمرات واحدة بعد واحدة, وإنما انتظرت لترث الإمبراطوريات .

وكون الولايات المتحدة لا تملك نظرية أمن قومي بالمعنى الحقيقي, لغياب تهديد يمس الوطن حدوداً وعمقاً, كما هو شأن أوطان العالم ودوله, وإذا كانت للولايات المتحدة نظرية مصالح قومية فقط, فإن هذه مقدمة تترتب عليها نتيجة شديدة الأهمية بعيدة الأثر, وهي غياب الوطنية بالمعنى المتعارف عليه في أوطان أخرى وتواريخ مختلفة, ذلك أن حيوية الوطنية في بلد من البلدان هي نتيجة لتهديد مباشر يمس هويته أو أرضه أو استقلاله, أي أن التهديد أو احتمال التهديد هو الذي يخلق رد الفعل والمقاومة, أما إذا كانت المشكلة طلب المصلحة, وليس رد التهديد, فإن المصلحة لها دوافع وحوافز ومحركات من نوع مختلف، لا يعرف الصمود إلى النفس الأخير, ولا الاستعداد للتضحية.

واستناداً لما سبق تميل الاستراتيجية الأمريكية إلى الشعور بالطمأنينة, والرغبة

في متابعة صراعات الآخرين أو حتى إدارتها من بعد, والدخول في المعارك عندما تميل الموازين إلى الرجحان, ويفوت وقت التضحيات الكبرى, ويحين وقت تقسيم الغنائم الكبيرة، التردد في مواجهة الموت, لأن الدفاع عن المصالح, خلافاً للدفاع عن الأوطان, لا يعرف الصمود والتضحية والقبول بالشهادة , لأنه إذا كانت المسألة مصالح فالكل يريد أن يعيش حتى تتحقق المصالح، ولعل هذا يفسر عقدة فيتنام حتى الآن، إذ لم يتجاوز أوباما عقدة العراق حتى اليوم أيضا، وهو الذي أتى للحكم تحت شعار سحب الجيوش الأمريكية من المنطقة, وهو اليوم يجد نفسه مجبراً على العودة إلى المنطقة, فهو لا يملك خياراً آخر. الرعب يجتاح مشيخات الخليج، وأمريكا مضطرة للعودة للمنطقة تحت شعار نظرية المصلحة, واستعادة ما خسرته مؤخراً في منابع النفط.

الإعلام الأمريكي والحرب

انتجت هوليود عام 1997 فيلماً عنوانه "ذيل الكلب" من بطولة روبرت دي نيرو وداستن هوفمان، وهو مأخوذ عن رواية تتحدث عن كيفية اختلاق حرب وهمية يشترك فيها الإعلام والاستخبارات، ويصنعون منها بطولة للرئيس الأميركي الذي كانت ستنتهي ولايته الأولى آنذاك، بحيث يتم إعادة انتخابه.

يقدم الفيلم رؤية في غاية الأهمية والدقة عن صنّاع القرار السياسي الأمريكي, ويشرح أن قرار الحرب والسلم في الولايات المتحدة الأمريكية قد يرتبط بنزوة شخصية للرئيس، أو لدوافع لا تتعدى الحسابات الانتخابية.. أو لأسباب تتعلق بتكريس الهيمنة واستعراض العضلات السياسية والعسكرية عالمياً، ليس إلا.

وفي أحد حوارات الفيلم يقول سكرتير الرئيس عن الحرب: "إنها ترتيب وتخطيط وتنظيم.. لا حرب حقيقية.. فقط مظاهر عسكرية ولعب على الناخب الأمريكي حتى لو دفعت الشعوب الفقيرة الثمن باهظاً. سيعرف الشعب الأمريكي.. أننا نخترع حرباً؟ وماذا عرفوا عن حرب الخليج؟ قنبلة سقطت من مدخنة وفجرت بناء بأكمله.. (مشيراً إلى الحرب كما وصلت إلى المواطن الأمريكي آنذاك). لقد كانت عبارة عن تصوير مشاهد سينمائية في ولاية فرجينيا، أما الحرب الحقيقية، بكل خسائرها البشرية والمعنوية لأميركا وللشعوب الأخرى، فلا يعرف عنها ذاك المواطن شيئاً".

قبل حربها على أفغانستان بدأت في الولايات المتحدة الأمريكية حكاية جرثومة "الإنتراكس" والحرب البيولوجية التي تشن على الشعب الأمريكي داخل وطنه, وكانت المبالغات الإعلامية في هذه الحكاية متجاوزة للواقع وحتى الخيال, وشاع أن ذلك هو التمهيد لنزول قوات أمريكية برية على الأرض في أفغانستان, يسقط فيها ضحايا وتعود فيها جثثهم إلى وطنهم في حقائب البلاستيك, وذلك هو الموقف الذي يكرهه الشعب الأمريكي, ويخشاه كل رئيس أمريكي, لكن إذا تبدى أن أمريكا نفسها أصبحت معرضة لحرب بيولوجية داخل أرضها, إذن فإن المواجهة على الأرض بمثابة قدر مفروض لا مهرب منه أو مفر .

لكن الشائع راح يتحول إلى اتهام بأن حكايات الحرب البيولوجية جاءت لتعطي للقيادة السياسية الأمريكية خيار توسيع أهداف الحرب, وفي مقدمتها ضرب العراق.

اليوم وعشية الحملة الأمريكية على داعش، بث التنظيم عبر المواقع الإلكترونية، عنصراً من التنظيم يذبح الصحفي الأمريكي "جيمس فولي"، الذي انقطعت أخباره في تشرين الثاني عام 2012 بعد ذهابه إلى سوريا في تغطية إخبارية للحرب الدائرة فيها لصالح مؤسسة "غلوبال بوست".

وقد أعلنت قناة "إي بي سي" الأميركية أن أسرة الصحفي "جيمس فولي"، الذي أعدمه تنظيم "الدولة الإسلامية"، صرّحت بأن مسؤولين في الإدارة الأمريكية هددوها بأنها قد تتعرض للاتهام بدعم الإرهاب في حال دفع فدية إلى خاطفي ابنها من أجل إنقاذه.

ولم يصدر عن البيت الأبيض تعليق مباشر على اتهامات أسرة "فولي" , وحسب خبر قناة "إي بي سي"، فإن والدة الصحفي، "ديان فولي"، قالت إن مسؤولاً عسكرياً في مجلس الأمن القومي الأميركي، حذر الأسرة عدة مرات بأنها قد تتعرض للملاحقة القضائية في حال دفع فدية، في حين ذكر "مايكل" أخو "جيمس"، أن مسؤولاً من وزارة الخارجية وجه إليه تهديداً مشابهاً.

وانتقدت "ديان" الإدارة الأميركية لعدم إبدائها الاهتمام بالأسرة، مضيفةً أنها كانت تضطر إلى "التوسل" للمسؤولين من أجل الحصول على معلومات عن ابنها, وذكرت قناة "إي بي سي" أن متحدثاً باسم مجلس الأمن القومي، صرح بأنه تم إبلاغ أسرة "فولي" بشأن القوانين الأميركية التي تمنع تمويل الإرهاب، إلا أنه نفى توجيه رسالة إلى الأسرة بأنها قد تتعرض للاتهام في حال دفعها الفدية.

تحالف مع داعش أم ضدها؟ (1)

■ خالد كنفاني

في غضون أقل من شهرين دخلت داعش بالحديد والنار واجتاحت مناطق شاسعة في سوريا والعراق، وكأنها فيضان من الدم القادم من اللامكان، وبدأت بإثارة الرعب والتنكيل بكل من يعترض طريقها، مع البدء بفرض أنظمة إدارية وتعليمية واقتصادية في طمأنينة كاملة.

وفجأة بدأ الحشد العالمي ضد داعش، وبدأ العم سام بالعويل والصراخ وتحركت كل الوسائل الإعلامية لدعم هذا التوجه، العربية قبل الأمريكية، للتهويل مما يحدث وكل على طريقته، ففي حين تتجنب «العربية» الحديث عن قوانين داعش الإسلامية تجنباً لإحراج ممولها السعودي، لا تفتأ القنوات الأمريكية مثلاً ترداد جرائم داعش فيما يتعلق باغتصاب النساء وإلغاء الكثير من مناهج التعليم، وحظر الكثير من المظاهر الاجتماعية وقتل المسيحيين وتهجيرهم والاعتداء على الأكراد وغير ذلك.

بدأ جون كيري جولته بين شيوخ النفط أولاً لضمان التمويل وهو ما كان مهمة سهلة جداً أمام من اعتادوا السمع والطاعة للسيد الأمريكي ودفع الغالي والرخيص لإرضائه، وبناء عليه قامت دولة قطر مثلاً بترحيل قيادات الإخوان المسلمين الذين اعتقدوا أنها ستكون حليفهم للأبد، وبدأ سعار مكافحة الإرهاب من جديد، ولكن من أستراليا هذه المرة، التي أعلنت القبض على مئات الأشخاص في سيدني وبريسبان بتهم التحريض على الانضمام إلى داعش وتنفيذ عمليات إرهابية في أستراليا. لا صوت يعلو فوق صوت العم سام، وهكذا بدا أن إيران التي عارضت هذا التحالف تحضّر لاستراتيجية جديدة في المنطقة رغم أن الميليشيات الشيعية المدعومة منها هي التي ادعت تحرير مدينة آمالي الكردية من سيطرة داعش.

لم تظهر داعش بالصدفة المحضة، وبقطع النظر عمن يدعمها ويمولها ولكن حاضنتها الاجتماعية والفكرية تطورت وكبرت مع الاستقطاب الطائفي الرهيب في العراق وخصوصاً بعد مقتل الزرقاوي واستفراد الميليشيات الشيعية بالاقتصاص من العرب السنة وتنفيذ الكثير من الجرائم تحت سمع وبصر الحكومة العراقية التي كانت تسهّل مهمات الميليشيات ناهيك عن الدور الإيراني في ذلك.

ورغم أن كاتب هذه السطور هو أبعد ما يكون عن الطائفية والمذهبية، إلا أننا يجب أن نحلل الأمور من زواياها الاجتماعية والديمغرافية الصحيحة حتى نصل إلى الاستنتاجات التي تمكّننا من فهم الظواهر السياسية والأمنية التي تفاجئنا كل يوم بجديد. وسنلقي فيما يلي نظرة على أبرز هذه الميليشيات العراقية وأدوارها في تأجيج المشاعر السنّية والتحريض على العنف المضاد.

تختلف الروايات على عدد الميليشيات الطائفية في العراق والمنتمية للشيعة. يرتفع العدد عند البعض إلى أكثر من 30 مجموعة، وقد ينزل إلى ما دون ذلك بكثير. لكن المجموعات المتفق عليها التي لا يختلف على قوتها هي أربعة، «عصائب أهل الحق، وفيلق بدر الذي أصبح منظمة بدر، وكتائب حزب الله وكتائب أبو الفضل العباس» الذي نقل كثيرا من نشاطه إلى سوريا بحجة حماية المقامات المقدسة. وكي لا يطول المقال سنقصر حديثنا على العصائب والفليق كعينة فقط عن «الدواعش الشيعية» التي ساهمت في إنتاج «داعش» السنية.

عصائب أهل الحق

من أغرب الأمور أن عصائب أهل الحق التي كانت فيما مضى تستهدف الأمريكيين، تصطف الآن إلى جانبهم في الحرب على «داعش». لقد تلقت العصائب دعما إيرانيا طوال عقد من الزمان، خاصة خلال سنوات حكم نوري المالكي الذي تبنى العصائب ودعمها وأطلق يدها، حتى أصبحت الميليشيا الأكثر عدة وعددا. وقد استهدفت المناطق السنية والناشطين، كما يقول تقرير مفصل صدر عن «منظمة رقابة حقوق الإنسان (هيومن رايتس ووتش). يقول التقرير إن المنظمة وثقت مقتل 61 سنيا بين 1 حزيران/يونيو و 9 تموز/يوليو 2014. كما قتلت العصائب 48 سنيا خلال شهري آذار/مارس و نيسان /أبريل في قرى قريبة من بغداد تدعى «حزام بغداد». ويؤكد التقرير أن حكومة المالكي التي رعت العصائب استخدمتها كي تغسل يديها من المذابح الصغيرة التي كانت تشنها تحت مبرر أن هذه أعمال ميليشيات لا دخل للحكومة فيها. وقد اقتبس التقرير كلام مسؤول حكومي يقول «إن العصائب تتلقى أوامرها من قائدها قيس الخزعلي، الذي انشق عن جيش المهدي بقيادة مقتدى الصدر عندما اشتبك الجيش مع القوات الأمريكية في الحلة عام 2004. وأنشأ الخزعلي العصائب عام 2006 واستقلت تماما عن جيش المهدي حتى بعد المصالحة بين الصدر والخزعلي عام 2005.

تتسم عمليات المجموعة بالرعونة والدموية وشبه العلنية، خاصة في بغداد وديالى. ويوثق التقرير عمليات جرت خلال شهري 6 و 7 حيث قامت مجموعات من العصائب بلباس مدني بدخول أحياء منها، الزعفرانية والبياع والغزالية واقتادوا شبابا جميعم من أهل السنة ووجدت جثثهم ملقاة بعد عدة ساعات وقد أعدموا جميعا بطلقات في الرأس. وفي يونيو دخل اثنان إلى مقهى شعبي مشهور في حي الشعب بلباس مدني وأعدما صاحبي المقهى السنيين أمام زبائن المقهى وعلى بعد عشرة أمتار من حاجز عسكري. وفي 7 تموز/يوليو وجدت 53 جثة شمال مدينة الحلة لرجال مقيدي الأيدي تم إعدامهم جماعيا بطلقات في مؤخرة الرأس. وإلى جانب الجثث وجدت رسالة من العصائب تتبنى المسؤولية.

كما تقوم العصائب بالاعتقالات والخطف والقتل والتعذيب بدون أدنى اعتبار لأي نوع من المساءلة.

وبعد استفحال خطر «داعش» وتمدده في العراق وانهيار الجيش العراقي في 10 يونيو، قام المالكي بدمج الميليشيات تحت مسمى «أبناء العراق»، بهدف الزحف على المناطق التي تسيطر عليها «داعش» لاسترجاعها. وقد استفحلت قوة العصائب بعد انهيار الجيش وأصبحوا في موقع يعطي أوامر لقوات الأمن، حيث منحهم المالكي صلاحيات قانونية لا حدود لها وأطلق أيديهم ليفعلوا ما يشاؤون. يقول طبيب من وزارة الصحة: «تحاول العصائب أن تمارس التطهير العرقي ضد السنة في مناطق حزام بغداد، ونسمع كل يوم عن قتل مدنيين في قرى الحزام مثل المدائن واللطيفية واليوسفية وأبو غريب». ويقول التقرير: «في 30 يونيو الماضي وصلت ثلاجة الموتى 23 جثة لرجال من السنة من المقدادية، يبدو أنهم شيوخ قبائل أعدموا في الوقت نفسه وخلال اجتماع»، كما قال طبيب لمنظمة هيومن رايتس ووتش. ويستمر التقرير في رواية تفاصيل استهداف الرجال من السنة وقتلهم وتعذيبهم ومصادرة ممتلكاتهم وطردهم من الأحياء المشتركة. ونقلت صحيفة القدس العربي (2014/8/17) عن شهود عيان أن العصائب أعدمت ميدانيا 27 شخصا من سكان بهرز في محافظة ديالى مؤخرا، من بينهم نساء. وقد أعلن الحراك

الشعبي في ديالى أن «حربا طائفية تقودها ميليشيات وأحزاب طائفية تجول وتصول بحرية في ديالى، وهناك قيادات أمنية طائفية توفر الغطاء لتحرك الميليشيات التي ترتكب جرائم ضد المدنيين».

ولا يشك أحد أن الميليشيات تلك تابعة للعصائب، فهي تتعدى الحواجز بدون مساءلة وتسوق سيارات بدون لوحات وتحمل سلاحا متشابها وتقتل بدم بارد. فما الفرق بين هؤلاء و«داعش»؟ ألا يمثلون الوجه الآخر القبيح للحقد الطائفي والتعصب والإرهاب؟

فيلق بدر/ منظمة بدر لاحقا

تشكل الفيلق عام 1982 في إيران، كجناح عسكري للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق. وضم الفيلق آلاف العراقيين الذين هربوا من العراق ولجأوا إلى إيران أثناء حكم الرئيس السابق صدام حسين. وما إن احتلت الولايات المتحدة العراق عام 2003 حتى عاد الفيلق إلى العراق واستغل حل الجيش العراقي على يد الحاكم الأمريكي بول بريمر، لتسيطر ميليشيات الفيلق على أجزاء واسعة من العراق، خاصة المناطق ذات الغالبية الشيعية. انضم الفيلق باسم منظمة بدر إلى قوات الأمن ووزارة الداخلية والجيش الذي بدأ تأسيسه من جديد، ذي اللون الطائفي الواضح. وقد ركزت قيادة الفيلق على السيطرة على وزارة الداخلية وأصبح بيان جبر أحد قادة الفيلق وزيرا للداخلية العراقية.

في عام 2006 أكد تقرير الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، أن مئات العراقيين عذبوا وقتلوا في وزارة الداخلية التي يسطر عليها المجلس الأعلى، كما نقلت جريدة «الإندبندت» البريطانية عن جون بيس الذي أعد تقرير الأمم المتحدة حول الصراع الطائفي في العراق. ويقول التقرير إن وزارة الداخلية كانت تسيطر على نحو 10000 بين شرطة ومخابرات وأجهزة أمنية وشكلت كتائب عديدة لمواجهة الهجمات التي كانت تشنها «القاعدة»، مثل لواء النمر ولواء العقرب ولواء الذئب وقوات المغاوير التي أنشأها الجيش الأمريكي.

وتتحرك عناصر فيلق بدر بأزياء خاكي مموهة ويسوقون سيارات بيك آب حاملين اسلحتهم، وكلما مروا في حي من أحياء السنة ينشرون الرعب، وغالبا ما تجد من يعتقلونهم مقتولين بعد أيام وعلامات التعذيب بادية على أجسامهم. لقد شكل الفيلق كتائب الموت عام 2006 وكانت علامات التعذيب والإعدام بطلقات في الرأس على ثلاثة أرباع القتلى كما جاء في تقرير جون بيس.

وكان محمد باقر الحكيم الذي اغتيل في مقام الإمام علي (رضي الله عنه) في النجف يوم 29 آب/أغسطس 2003 قد حل الفيلق وحوله إلى منظمة مدنية، مؤكدا أن دور الفيلق انتهى بعد سقوط نظام صدام حسين. إلا أن تقارير حقوق الإنسان تؤكد قيام الفيلق / المنظمة لا فرق، بعمليات اغتيال واسعة ضد القادة العلمانيين وأعضاء حزب البعث السابقين. وقد عادت أخبار الفيلق أخيرا إلى الواجهة، حيث أفاد مراسل وكالة الأناضول، بأن اشتباكا وقع في قرية البشير قرب كركوك بين 100 من مسلحي فيلق بدر وتنظيم «داعش» قتل على أثره عدد غير معروف بسبب تعذر الوصول إلى قرية البشير.

في الجزء القادم سنتعمق أكثر في مسألة التحالف ضد داعش والدور الذي تنوي الحكومات العربية لعبه في المرحلة القادمة والتي لا تبدو مرحلة مبشرة بكل الأحوال وكذلك المواقف الروسية والإيرانية والتركية من مسألة التحالف.

قصة قصيرة

قهر الرجال

لبابة الهواري

ما إن استقر بمكانه في المكرو حتى تفقد هويته للمرة الثالثة منذ خروجه من المنزل، هو ليس مهووساً بهويته، وليس مصاباً بداء النسيان، لكن هويته أحد أسباب بقائه على قيد الحياة في بلده.

يعرف جيداً أنه سيقطع عدة حواجز قبل وصوله للمكان المقصود، وأول سؤال سيلقاه هو أين الهوية متبعاً بكم لا بأس به من الشتائم بحسب العسكري الذي يتفقد الهويات..

محاولاً كسر الملل والانتظار أخرج هاتفه الذكي وأخذ يتفقد حسابه

كان عليه أن يتأكد من إغلاقه لحسابه المعارض والذي يكتب فيه بنفس ثوري صادق، ويفتح حسابه الموالي الذي أبعده عن كل السياسة ليكون نوعاً من التمويه في حال تم اعتقاله على أحد الحواجز، كما كان يتوقع بكل وقت.

قلب بعض منشورات الأصدقاء، بعض الصفحات الموالية، منشورات تتحدث عن سيادته..

أخرى عن بطولات حماة الديار

ثالثة عن أسماء راعية الأيتام

كان يضع لايكا دون أن يدقق فيما يقرأ، كثير من القرف والاشمئزاز اعتلى وجهه.

فتح نافذة لمنشور جديد على صفحته وكتب: "في الشام يصطف الياسمين لتحية الأطفال، كل الجمال بين حارات الوطن، لا شيء يحدث في المدينة، كل التفاصيل القديمة متجددة، هنا الحياة".

ضغط على أيقونة النشر ونظر للنافذة، كان الميكرو يبطئ من سرعته قليلاً قليلاً فقد أصبحوا على مقربة من الحاجز

بعض التململ بدا على الرجال الجالسين أمامه، فيما علا صوت طفل في الخلف.

أعاد هاتفه لجيبه، وأخرج محفظته استعداداً.

توقف المكرو، اقترب أحد العساكر من السائق فيما فتح آخر الباب

صرخ السائق بالجميع: "طلعوا الهوايا شباب"

ضحك العسكري وهو ينظر بالجالسين ويقول: "وين الرجال، مافي رجال لشوف الهوايا"

كان محمد يفتح محفظته ويستخرج هويته متجاهلاً الإهانة التي سمعها، متذكراً أن كثيراً من الأشياء التي يجب عليه فعلها غير الرد على عسكري قد يدفع حياته ثمناً له.

صرخ به العسكري "ولاه.. لا تكون مفكر حالك رجّال"

صمت محمد، وتوقف عن الحركة فيما كانت أصابعه تضغط على هويته

نادى العسكري زميله وهو يضحك ساخراً " تعال شوف.. آل في رجال هون "

اقترب العسكري الآخر من الباب حيث يقف زميله

- هذا الولد؟ (يسأل العسكري الثاني بسخرية وهو يضحك)
- يجيبه الأول: لك أي.. آل طالع هويته

محمد يحاول تجاهل ما يسمع، يمنع نفسه من الاستجابة لاستفزازهم، يحاول تذكر وجوه أطفال الميتم الذين ينتظرونه، وجه أمه التي كواها غياب أخيه، أصدقاءه الذين كانوا يعلمون بعضهم طرق المحافظة على الهدوء، سحب شهيقاً عميقاً، وأطلقه ببطء شديد

أعاده من شروده صوت العسكري:"ما سمعت ولاه "

محمد: عفواً يا سيدي ما سمعت

العسكري: ولد وأطرش كمان

قهقه الاثنان وبقي الترقب بادياً على كل من في المكرو

ضب هويتك ضب، ما بنشوف هوايا ولاد

واختلط صوت ضحك العسكريين بصوت إغلاق باب المكرو

انطلق السائق حذراً، وتنهيدات الارتياح بدت على الوجوه..

وحده لم يكن يشعر بما حوله، كانت نظراته تمتد للأفق

لم يكن يرى أو يسمع شيئاً مما يدور حوله

فتح هاتفه وعدل على المنشور السابق "هنا الحياة.. لكنه قهر الرجال يا أبي"

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان
1991 - 1994

93 / 1 / 5

جاءت زيارة محمود بن عبدو عامر من قرية شمسين التابعة لحمص. مهندس نفط وخريج باكو. قال له أخوه على لسان ضابط أمن يعمل في فرع فلسطين أن القوائم جاهزة وبحاجة للتوقيع. البرد يزداد رغم التدفئة المركزية.

الساعة الثالثة الآن وأخبار لندن تؤكد على تأجيل سفر وفود كل من سورية والأردن وفلسطين ولبنان إلى محادثات نيويورك مع إسرائيل احتجاجاً على العنف الصهيوني، وعمليات الترحيل بحق عرب الضفة والقطاع.

بهذه المناسبة كان قد صرح اللواء المصري طه المجذوب رئيس الوفد العسكري في مباحثات فك الاشتباك مع الإسرائيليين حول خصائص المفاوض الإسرائيلي الذي يلجأ إلى التدقيق في الحسابات الخاصة، والتسويق وكسب الوقت، مع رفض المبادئ والقواعد الدولية أو الالتزام بها. ورأى اللواء المجذوب منذ آب الماضي أن الأطراف العربية ستواجه صعوبات بالغة خلال التفاوض وعليها التحلي بالصبر والقدرة على التحمل والتصدي للألاعيب واجتناب التصادم معهم لأنهم يريدون إيصال المفاوضات للطريق المسدود.

أعدت قراءة مقال هام في مجلة الناقد عدد تموز 1989 عنوانه « كيف تفسد الثورات « لفاضل العزاوي. يدين المقال الأيديولوجيا إن كانت ماركسية أو قومية أو دينية، كونها تؤمم الإنسان والفكر لصالح التعصب، وهو مقال لاهب موجه ضد هذه الديكتاتوريات الجاهلة والوقحة التي تنهض في الوطن العربي والدول الإسلامية، باسم الحق وباسم الله، وهي تمارس كل شائن موجه ضد الحق وضد الله.

وعندما يقرأ السجين مثل هذه الآراء، يشعر أن هناك من يتعاضد معه، ومن يُسَخّر قلمه وقلبه ضد الجلادين والجلاوزة، فيشعر بقيمة المستقبل، وقيمة الحرف وقيمة الكلمة بعيداً عن الارتهان والتبعية.

93 / 1 / 6

كافة مظاهر إخلاء السبيل قد توقفت، على الأقل خلال الشهرين القادمين. لقد عاد شاويش الجناح من لقاء مع مدير السجن الذي قال له بأسف: كنت أعتقد أن الإفراج سيكون كاملاً وقبل نهاية العام المنصرم.. ما الذي حدث لا أدري؟.. وعد أن تأتي المياه بالحنفيات وليس بالخراطيم، كما وافق على فتح باب في الجدار الفاصل بيننا وبين الجناح الخلفي، كما وافق على التزاور مع الأجنحة الأخرى، كل شهر يزور خمسة أشخاص، وأنه وافق على الزيارة في الغرفة لخمسة أفراد كل شهر. كما شدد على إخباره عن كل عسكري يسيء أو رقيب، وستكون اللحمة في الأسبوع مرتين، كما أنه وافق على وضع مكتبة السجن تحت تصرفنا. بالنسبة للطبيعة صار البرد أقوى من همّ السجن.. الجليد الأبيض يحيط السجن من كل الجهات.. نظرت من الشباك إلى المحارس المتناثرة، والاستحكامات المعترضة لهجوم، ونظرت للثلج، والجليد الأبيض، وقد حزّ بالنفس أن أكون حتى عام 1992 في السجن، فبدت لي هذه البلاد عبارة عن سجن، وشعب مداس كسيجارة مثقوبة عاطلة.

لم أر عصفوراً طائراً، وبدت جبال القلمون مؤتزرة بالضباب والغيم الأسود، وتذكرت قصيدة أحمد مطر الرائعة عن الوطن وأنا أطل من الشباك على وطن مُقعد، مشوه بفعل هذا الاستبداد.

في آخر الجناح شربت المتة مع ضرار فراس المسجون منذ صيف 1976. جرى الكلام حول الأهل، واستعرضنا حالات الوفاة الكثيرة بسبب الأخبار المفاجئة أو الانتظار وفقدان الأمل.

يتردد علينا قادماً من الجناح الخلفي شاب لبناني اسمه بسام شهاب مواليد 1960 مع أخيه أحياناً، ولوحده أحياناً أخرى. وهو من رأس بيروت قرب الحمراء وأوتيل ريجنت، ومعتقل منذ عام 1985. يتكلم عن الهجرة الجماعية لأبناء حيه والأحياء الأخرى هرباً من الأمن السوري. قلت له: إن الأمن السوري أخف وطأة في لبنان عما سبق من السنوات. قال: منذ أقل من نصف شهر جاء إلى السجن خمسة شباب من حينا بتهمة: الانتماء إلى بعث العراق، وهم في الطابق الثاني. قلت: ألا تأملون بالإفراج؟ قال: إننا مثل جميع السجناء، نأمل بين يوم وآخر أن ينادوا علينا وحائرون لماذا التأخير للآن؟

أتحدث معه عن بيروت والمواقع التي أعرفها عندما كنت هناك بين عامي 1960 - 1964. الشاب بسيط ولكنه يدرك أن القتال الوطني الذي خاضه لبنان حرَفَه السوريون عن مبتغاة ووجهوا بنادقهم ضد الوطنيين، وحموا الكتائب الذين تفاوضوا مع إسرائيل واشتركوا مع شارون للقيام بمذبحة شاتيلا وصبرا ضد الفلسطينيين.

93 / 1 / 7

لفت نظري في حديث محمود عامر عن لسان أخيه أن عناصر الأمن والضباط يمنون الناس أنهم أفرجوا عن التيار الديني وعن بعث العراق، ونادراً ما يذكرون / المكتب السياسي / الحزب الشيوعي العائد لرياض الترك أو حزب العمل (الرابطة سابقاً) أو البعث الديمقراطي (مجازاً، لأن البعث من يوم ما حكم سيطر عليه العسكر. فهو لا ديموقراطي، ولا يؤمن بالتعددية أو الرأي الآخر) ويعقبون: إن الشارع السني غاضب، ونحن نريد إرضاءه؟

والواقع أن الجور والاستبداد غيب العلمانية والموضوعية، وصار التديّن السطحي والهارب من الواقع ضالة سواد الناس، وكذلك ضالة السلطة لأنه تديّن يريحها، وهي تريد كسب هذا التيار. النظام لا يريد للشيوعية أن تتنفس إلا إذا انضوت تحت لوائه ورياته وشعاراته.. وكذلك القومية السورية الاجتماعية.. إنه يريد كسب الدينيين بعدما أنهكوا ومات منهم من مات، وأعدم من أعدم.. هذا معنى أقوال ضباط الأمن

المواطنة والفساد

■إعداد المحامي فارس حسّان

لعل الفساد السياسي والإداري في المجتمعات العربية كان السبب الرئيس في اختلالات التنمية على المستوى المناطقي بين المراكز والأطراف، والإخفاق في التوزيع المنصف للدخل، وتفاقم فجواته، وارتفاع معدل الفقر والبطالة في الأقاليم، وإلى اتساع حجم الفئات الضعيفة والهشة والمهمشة، وتساقط ثمار النمو في أيدي حفنة من رجال الأعمال الجدد من رأسمالية الأقارب.

لذا امتزجت الثورات والاحتجاجات التي اندلعت في العالم العربي ولاسيما حركات وثورات مصر وتونس وسوريا التي تشترك فيما بينها بخصائص النظام التسلطية التي استشرى الفساد فيها، قضايا الحرية بقضايا العدالة والانصاف الاجتماعية، واسترداد حقوق المواطنة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي صادرتها النظم التسلطية المحكومة بأجهزة الاستخبارات والقوانين الاستثنائية.

ومن نافلة القول أن استعادة المشروعية النظرية والعملية لمفهوم العدالة الاجتماعية وأيضاً لمفهوم تكافؤ الفرص بما هو صلة الوصل بين العدالة السياسية والقانونية من جهة والعدالة الاجتماعية من جهة أخرى، أي التوزيع العادل للثروة والمدخول والخدمات العامة، هو هدف لكل مجتمع وهذا الهدف لا يتأتى دون مكافحة لظاهرة الفساد.

وإذا كانت حقوق المواطنة تعني فيما تعني التمتع بحقوق المواطنة الخاصة والعامة، كالحق في الأمن وفي السلامة، والصحة والتعليم والعمل والخدمات الأساسية، والحق في التنقل وحرية التعبير، والحق في الحياة الكريمة، فإن الواجبات الوطنية تعني احترام النظام العام، والحفاظ على الممتلكات العمومية، والدفاع عن الوطن، والتكافل والوحدة الوطنية، والمساهمة في بناء الوطن وازدهاره، والحفاظ على ثرواته وعدم استغلالها في المصالح الذاتية، وهذا يعني أن المواطنة والفساد خطان متوازيان لا يلتقيان أبداً.

فالمواطنة تشكل الإطار الشامل والمتكامل لتفاعل المواطن مع وطنه ومواطنيه في نسيج اجتماعي وسياسي واقتصادي وثقافي متماسك، مشيرا إلى ان المواطنة تستمد قيمها وحقوقها وواجباتها من المبادئ السامية لحقوق الانسان في المساواة في الحقوق والواجبات دون تمييز في الدين واللغة والجنس والعرق والاثنية والمذهبية، بينما يشكل الفساد يشكل اعتداء صارخاً على حقوق الغير، فالفساد المالي ينهش بالاستيلاء على مال الغير، العام أوفي شركات مساهمة عامة أو غيرها، والفساد الاداري، بما في ذلك الواسطة والمحسوبية، يشكل اعتداء على حقوق الغير، في اختراق مبدأ تكافؤ الفرص والمواطنة.

وتلعب ثقافة المواطنة دوراً هاماً في منح مناعة للمجتمعات في مواجهة الفساد من خلال بث المدركات الاخلاقية والثقافية والحضارية بين عموم المواطنين، وتنمية المنظومة القيمية في المجتمعات وزيادة الوعي بمخاطر الفساد.

والعلاقة بين نوع نظام الحكم والفساد، ليست حتمية فهو موجود في دول ديكتاتورية كما هو موجود في دول أنظمتها ديمقراطية، إلا أن الانظمة غير الديمقراطية تعد حاضنة صالحة للفساد أكثر من الأنظمة الديمقراطية من الناحية النظرية لأن الانظمة الديمقراطية تحتكم لمبادئ المواطنة من خلال التوازي بين السلطات، وتوفير انتخابات حرة ونزيهة وتداول سلمي للسلطة وحرية تعبير وصحافة حرة وقضاء مستقل محايد عادل وكفوء لذا تكون ممارسة الفساد عملية صعبة أو خطرة ذات نتائج غير مضمونة.

في تعريف الفساد

لم يتفق الكتاب والمنظمات المعنية بمكافحة الفساد على تعريف محدد له، فقد عرفه الباحث ياسر الوائلي بأنه «إساءة استعمال السلطة العامة أو الوظيفة العامة للكسب الخاص»، وعرفه دانيال جونسون بأنه: «استخدام النفوذ العام لتحقيق أرباح أو منافع خاصة ويشمل جميع أنواع رشاوى المسؤولين المحليين أو الوطنيين أو السياسيين ولكنه يستبعد الرشاوى التي تحدث فيما بين القطاع الخاص»، وعرفه البنك الدولي في تقرير التنمية الصادر عام 1997 بأنه «سوء استغلال السلطة العامة من اجل الحصول على مكاسب شخصية»، كما عرفته منظمة الشفافية الدولية بأنه: «استغلال السلطة الممنوحة سواء كانت في القطاع العام أو الخاص لتحقيق مكاسب شخصية، ولا يشترط في المكاسب أو المنافع الخاصة التي يلتمسها الفاسد أن تكون لمصلحته الخاصة هو، بل قد تكون لأحد أفراد عائلته أو لقريب أو صديق أو لمؤسسة أو حزب أو منظمة أو ميلشيا يتعاطف معها..

وعموما فان الفساد كمصطلح يغطي مجموعة واسعة من الممارسات السياسية والاقتصادية والادارية المشبوهة والمريبة، ويشمل مساحة واسعة من الاعمال والتصرفات غير الشرعية، فهو ظاهرة معقدة تتشعب اسبابها وتتنوع اثارها.

ولا يشترط في النشاط لكي يعد فساداً أن يكون فعلاً يجرمه القانون، فمن الأفعال ما لا تجرمه القوانين ولكنه يعد فساداً متى ما كان نشاطا يتضمن إساءة في استغلال السلطة الممنوحة لتحقيق مصالح فردية كالرشوة خارج القطاع العام والإثراء غير المشروع.

ولا يقتصر ظهور الفساد على القطاع العام بل هو قد يكون أكثر ظهورا في القطاع الخاص وفي مؤسسات المجتمع المدني والفساد في القطاع العام لا يظهر في مفاصل السلطة التنفيذية والسلطة القضائية فقط، بل يمكن ان يظهر في ميدان عمل السلطة التشريعية من خلال تجميد المشاريع لأغراض المساومة مثلاً، او في توزيع المناصب الحكومية على أسس حزبية أو طائفية، أو على مقياس الولاء بغض النظر عن الجدارة أو الكفاءة أو الاختصاص. كما قد يظهر بشكل صارخ في المؤسسات المستقلة بضمنها المؤسسات الرقابية أو المتخصصة في مكافحة الفساد كفساد المحققين وضباط الشرطة والمفتشين العامين وموظفيهم.

في الختام تجدر الإشارة إلى أن للمواطنة دوراً كبيراً ومهماً في مسألة مكافحة الفساد، وفي الوقت ذاته تؤدي دوراً في تناميها واستفحالها، في حال غياب هذا المفهوم عن الفرد ومكافحة الفساد، لا يمكن أن تتم إلا على قاعدة مواطنية صلبة، يشعر ويقتنع بها المواطن بأنه جزء من الدولة، وأن القانون هو المرجع الذي يقف على نفس المسافة من الجميع، بحيث أن يطبق على الجميع دون استثناء لعرق أو طائفة أو نفوذ سياسي ومالي، كما أنها لا تقع على كاهل شخص أو مسؤول أو مؤسسة بل هي مسؤولية جماعية تعني كافة المؤسسات والطوائف والأفراد ولايمكن أن يتحقق دون وجود إرادة ورغبة فعلية من السلطة السياسية لإنهاء حالة الفساد وتعاون فعلي من المواطنين وهنا نذكر ما تحدث عنه الرئيس الاسبق للولايات المتحدة جيمي كارتر عند انتهاء مدة رئاسته بقوله «إني عائد إلى أعلى وظيفة في الدولة وهي وظيفة المواطن».

أديب نعمة: الدولة الغنائمية والربيع العربي

■ ياسر مرزوق

«لا يمكن توقع المستقبل بدرجة مقبولة من الدقة في الوقت الراهن، ولا يتعلق ذلك بقصور المنهجيات، بل بطبيعة المرحلة نفسها التي تتسم بدرجة عالية من اللااستقرار، ووجود عدد كبير جداً من الفاعلين الداخليين والخارجيين، كما يتعلق بدرجة البراغماتية الكبيرة جداً التي تبديها الأطراف السياسية الفاعلة في التكيف مع المتغيرات»، تلك هي الخلاصة التي وصل إليها أديب نعمة في كتاب اليوم، الذي ينتسب إلى الحراك المجتمعي الراهن الذي يعيشه أكثر من بلد عربي منذ نهاية عام 2010. هذا الانتساب أولاً هو بسبب طبيعته لجهة كونه نصّاً هادفاً إلى المساهمة معرفيّاً في مسار التغيير الحاصل باتجاه الأهداف العامة المعلنة لهذا الحراك الثوري والمعبر عنها بالشعار المشترك للتحركات وهو «بناء الدولة المدنية الديمقراطية الحديثة» التي نرى فيها بديلاً ونقيضاً لنمط الدولة الغنائمية في بلداننا، الدولة الإرثية التي تعتبر البلاد وثرواتها وأهلها غنيمة لها، وبثلاثية «الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية» التي هتفت بها كل الحناجر من المغرب إلى اليمن، مستخدمة أحياناً المفردات نفسها دون تعديل.

يضم الكتاب نقاشات وحوارات جرت مع ناشطين في الحراك من شباب الحراك المجتمعي في أكثر من بلد عربي، ولا سيّما مصر وتونس واليمن وسورية والبحرين ولبنان، وتظهر هذه النقاشات الفجوة بين شعارات الربيع العربي ومعطيات الدولة الغنائمية.

يعرف نعمة الدولة الغنائمية بالدولة التي تضيع فيها الحدود بين الشخص والمؤسسة، وبين العام والخاص، وبين الوظائف الإدارية والسياسية للدولة، وبين الجمهور والمملكة، أو الإمارة، وبين التقليد والتحديث، وفيها تجبي الدولة الريع لزيادة ثروة الحكام، وتوزع حصة منه على الرعايا بحسب درجة القرابة والولاء لمركز القرار، وبما يخدم استقرار الحكم، بغرض إعادة إنتاج علاقات الولاء والتبعية، واستبعاد إمكان بناء علاقات مواطنة قائمة على الحق والرقابة والمساءلة.

ويربط نعمة منظومة الفساد في الدولة الغنائمية بالفساد المعولم قائلاً: «يصعب تصور فساد فعلي في العالم الثالث، على المستوى السياسي والاقتصادي، دون الشركات والمؤسسات العالمية التي غالباً ما تكون إداراتها شريكاً كاملاً في النشاط الاقتصادي وفي الصفقات السياسية الاقتصادية في هذه البلدان».

ويضيف: «كل ما هو فوق وطني هو معاصر ومحمود في منطق العولمة، وكل ما هو دون وطني، سواء كان إثنية أو قبيلة أو مجموعة محلية أو طائفة، يستحق الاحترام والاعتراف له بالحقوق».

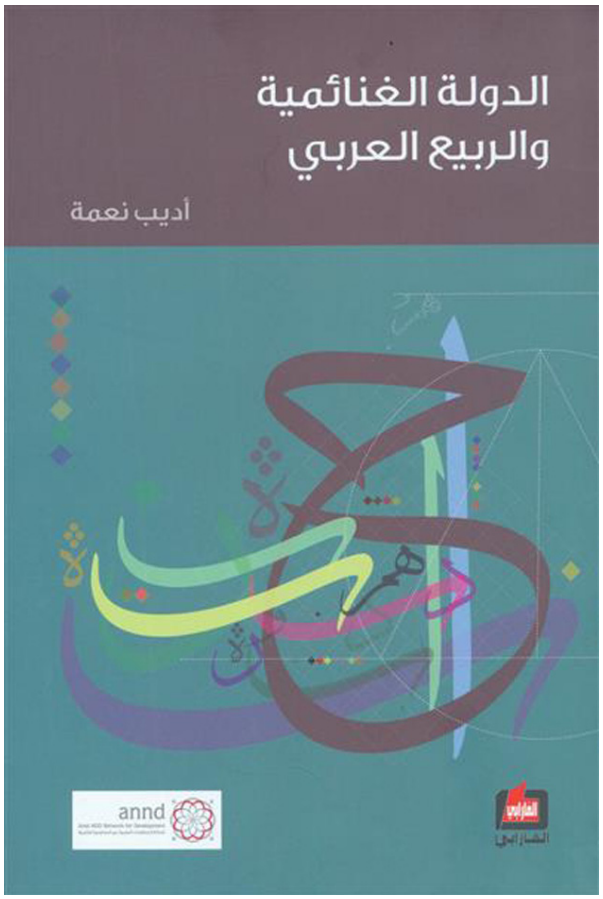

ولعل الفشل الأكبر الذي لحق بالاقتصاديات والمجتمعات العربية كان محاولة الخروج من النظام الغنائمي من خلال تطوير رأسمالية السوق والاندماج في الأسواق العالمية، حيث لم يتلازم التحول إلى اقتصادات السوق في العقدين الماضيين مع تحولات ديموقراطية حقيقية، بقدر ما كان الأمر يقتصر على بعض الإجراءات الليبرالية ضمن النظام الغنائمي نفسه.

يصور نعمة المشهد العربي الراهن بما يلي: «تميز تطور الأوضاع في البلدان العربية خلال العقود الثلاثة الأخيرة بتآكل شبه كامل لشرعية الدولة والنظم الحاكمة في البلدان العربية، وفقدانها القاعدة الاجتماعية والسياسية التي بنت عليها مشروعيتها التاريخية، كما تحولت إلى نسخة فجّة من الدولة الاستبدادية من النمط المافيوي - الأمني، وتم ذلك في مسار العولمة النيوليبرالية، ولهذه أطوارها أيضاً، تأثرت بها بشكل هيكلي أكثر مما يبدو للوهلة الأولى، وقد ساهمت مؤثرات العولمة هذه في دفع تغييرات قسرية مفروضة على المجتمعات العربية، تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، أدى تراكمها وتفاعلها إلى تحفيز بيئة مهيأة للانفجار وللمطالبة بالتغيير السياسي والاجتماعي».

أما بالنسبة للحراك الثوري العربي فيأخذ عليه نعمة تغليبه أجندة التغيير السياسي الداخلي مقابل تغييب الاقتصادي والاجتماعي، الأمر الذي وضع الحراك في خانة المواجهة مع التقلبات السياسية الخارجة عن قدرة هذا الحراك، أو ما اصطلح على تسميته بالربيع العربي، وهو ما لحظناه في نتائجه بعد مرور سنوات على انطلاقه من تونس إلى غير دول، إذ توقف قطار الحراك من دون أن يمسّ باقي الدول التي تتشابه بمشتركات الدولة الغنائمية، فضلاً عن الظواهر السياسية التي باتت تعرف بالثورة المضادة.

«على الحراك الثوري استكمال الأجندة السياسية بأخرى اقتصادية واجتماعية تتضمن خيارات بديلة للسياسات التي فرضها تحالف العولمة مع النظم الغنائمية في العقود السابقة؛ ومن شأن عدم بلورة بدائل تنموية أن يعيد إنتاج النظم الغنائمية تحت أسماء جديدة، ويدفع نحو دورة جديدة من التأزم والانفجار».

وفي قراءة للواقع العربي يقدم الكتاب لبنان وفلسطين كنموذجين عن محاولات التغيير في العالم العربي التي باءت بالفشل وعن التجربة الفلسطينية يقول: «إن هذه التغيرات حولت المقاومة المسلحة إلى سلطة حكومية، أي إلى نظام عربي جديد يضاف إلى الأنظمة العربية القائمة».

أما عن لبنان فيستعرض الكاتب مراحل تاريخية منذ نشوء النظام اللبناني عام 1920، الذي اختار الاقتصاد الريعي بعيداً عن التصنيع والتنمية أملاً في إيجاد واحة لرؤوس الأموال المهاجرة، إلا أن الاضطرابات الإقليمية أودت بالمشروع منذ الخمسينات مروراً بالحرب الأهلية ثم اغتيال الرئيس رفيق الحريري ليخلص إلى القول: «إنه منذ العام 1990 واصل لبنان السير نحو شبه اضمحلال الدولة والعودة إلى غنائمية متوحشة متمفصلة على الخارج، وفقدان المزيد من الاستقلالية».

أديب نعمة:

لبناني، مواليد 1956، محام وباحث في العلوم الاجتماعية والتنمية، وناشط مدني، صدر له:

- مقاربات، فصول نقدية في الاشتراكية، دار الفارابي 1990.
- المنظمات الأهلية العربية والقمة العالمية للتنمية الاجتماعية، التاير، 1995.
- إشكاليات الاندماج الاجتماعي بعد الحرب في لبنان (عمل جماعي)، اسكوا، 1997.
- السياسات القطاعية لمكافحة الفقر في لبنان في منتصف التسعينات: قطاعا الصحة والتعليم (عمل جماعي)، اسكوا، 1999.

هل انتهيت من هذا التصوير الذي لا فائدة منه؟
ريف سوريا - 2014 | تصوير: باسل حسو

كاريكاتير الفنان عبد المهيمن بدوي

في بيروت موت آخر

دمشق - زليخة سالم

شيء ما انكسر بداخلي في حب بيروت، ولأول مرة لا أطيق البقاء فيها أكثر من ثلاثة أيام، وأنا أرى الذل والانكسار في عيون شبابنا الذين هربوا إليها من جحيم الموت، أو هرباً من الخدمة العسكرية، كي لا يضطروا إلى الخيار الأصعب، الموت أو القتل، ويجدوا أمامهم كتلة بشرية يملؤها الحقد في بعض المناطق، من كثير من اللبنانيين كي لا نعمم.

شباب بعمر الورد ما بين العشرين والأربعين، معظمهم جامعيون حطوا رحالهم في بيروت بانتظار أي بارقة أمل بالسفر للعمل أو اللجوء أو إكمال الدراسة (علماً أنها ليست الوجهة النهائية لهم)، يحاولون مساعدة أنفسهم خلال فترة وجودهم التي يتمنون أن تكون قصيرة جداً، بإيجاد أعمال بسيطة تقيهم الجوع والعوز، وتأمين مصروفهم لحين الرحيل، ليواجهوا بمعاملة أقل ما يقال إنها عنصرية ومقززة، يحاولون استغلالهم أبشع استغلال، يتفننون في محاولة إذلالهم، وبالنسبة لهم هو موت آخر أشد مرارة من القتل.

يتنقلون بين المدن بحذر وبخوف من الحواجز التي غالباً ما تنزلهم من الحافلات، وتتعرض لهم بالضرب والشتيمة، وخاصة حواجز حزب الله، الذي يفرغ حقده وهزيمته في سوريا بشبابنا ونسائنا، وكثير منهم تم احتجازهم ليفرغ عنهم لاحقاً، ومنهم من تم تسليمه إلى النظام (أي إلى الموت)، إضافة إلى الفيديوهات التي تتسرب بين الحين والآخر عن تعذيب الأطفال السوريين، وإرهابهم.

محنة تلاحق السوريين أينما حلوا، ولكنها مستغربة في لبنان، لأن السوريين كانوا دائماً الحضن الدافيء لهم في جميع نزوحاتهم، كما كانوا لغيرهم، وهم يردون المعروف بأفضل منه. في لبنان قلة من الطيبين الأصلاء الذين وقفوا، وما زالوا، مع جميع السوريين، وينظمون حملات ووقفات تدعو لدعم السوريين وعدم التضييق عليهم، والترحيب بهم في بلدهم الثاني.

ملصقات الإهانة التي تنتشر في الشوارع والطرقات في بيروت والضاحية الجنوبية والجبل، لإعلام السوريين بـ"منع التجول بعد الساعة السابعة مساء"، أو لإنذارهم بالرحيل وإخلاء المنازل، وحدها كافية لتملأ قلوبهم ونفوسهم بالقهر والإهانة من أناس فتحوا لهم بيوتهم وقدموا لهم كل أنواع المساعدة والدعم المادي والمعنوي.

الأعداد كبيرة، والبلد صغير لا يحتمل هذا الكم، ويعاني من تدهور اقتصادي، وهناك بعض السوريين وهم قلة، ممن أساء التصرف وقام بأفعال مشينة، هذه حقيقة، ولكن الحل لا يكمن في التضييق على السوريين وشتمهم، وإنما بتوقيف المسيئين ومحاكمتهم مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف التي يمرون بها، لأن أحداً في العالم لا يترك بيته باختياره، فكيف بالسوريين.

خالد، في العشرين من عمره، بكى ولم ينم ليلته لأنه أضطر أن ينكر أنه سوري على أحد الحواجز تلافيا للضرب، زميله أنزلوه من الحافلة وأوسعوه ضرباً، وقال لسوريتنا: "كانت أصعب لحظات حياتي على الإطلاق، حين أنكرت سوريتي لكي أتفادى مثل هؤلاء وحقدهم على السوريين، خاصة وأنني أجهز للسفر ولا أريد أن يؤخرني شيء عن الخروج من هذا البلد الذي ذقنا فيه كل أنواع الإهانة".

وسيم هو شاب في العشرين من عمره كذلك، تخرج من الجامعة وينتظر الفيزا للالتحاق بجامعة أوروبية وافقت على إكمال دراسته العليا بها. اضطر للعمل لدى أحد محلات الألمنيوم، قال: "في البداية كان صاحب العمل، أو "المعلم" كما يجب أن نطلق عليه، وهو لا يحمل الشهادة الإعدادية، يعاملني بشكل معقول، وبعد أقل من شهر، أصبح يحملني كل أعباء الشغل حتى ساعة متأخرة، إضافة إلى إحضار الأغراض لبيته وتوصيلها، وصولاً إلى تنظيف الحمامات، وليس على لسانه سوى (اعمل بالأجر الذي تتقاضاه)، علماً أن الأجر لا يكفي سوى مصروف يوم واحد.

محمد، يقيم مع رفاقه، جامعيون وموسيقيون يستأجرون شقة لكي يتقاسموا المصاريف: يتعرضون للمداهمة والتفتيش بشكل دائم بحجة البحث عن أسلحة، في إحدى المرات كانت الساعة الثانية ليلاً، قال: "إذا خرج أحدنا إلى أي منطقة وتأخر عن السابعة يبيت في المكان الذي ذهب إليه لكي لا يتعرض للمساءلة. بعد أن تم إجبارنا على التوقيع على تعهد بعدم التجول من السابعة مساء حتى الصباح، نعيش في سجن كبير، وكلنا ننتظر بفارغ الصبر الخروج من هذه المدينة، التي ذقنا فيها مرارة لا تقل عما ذقناه من النظام".

بدوره، خليل وهو شاب سوري مقيم في لبنان أيضا، قال لسوريتنا: "لماذا يعاملوننا بهذه الطريقة المهينة وحكومتهم تقتطع أكثر من خمسين بالمئة من المساعدات الأممية المخصصة للاجئين السوريين، ولا يقدمون لهم سوى الفتات؟ يسرقوننا ويتاجرون بنا! ويبدو أن عدوى رفض السوريين تمتد من جهة لأخرى بتحريض طبعاً من جهات معينة، واذا أرادوا الانتقام ممن قتل الجندي اللبناني، وهو عمل مرفوض بالنسبة لنا مثلما نرفض قتل السوريين، فليذهبوا لمحاربة داعش وليس الانتقام من اللاجئين الذين لا حول ولا قوة لهم".

وأشار خليل أيضا إلى المضايقات التي يتعرض لها السوريون من جوارهم في المساكن المستأجرة، وإلى الكلمات البذيئة والمهينة التي يكيلونها لهم، فقط لأنهم سوريون، وجاؤوا يقاسمونهم في كل شيء حسب زعمهم.

ومع كل التقدير للأشقاء اللبنانيين والإعلاميين ممن وقفوا مع الشعب السوري في محنته، ولعدد كبير من الجمعيات الخيرية والمدنية التي بذلت وتبذل جهوداً عظيمة لدعمهم ولدعم الأطفال السوريين، إلا أن هذا لا يقلل من وقع تصرفات البعض الآخر منهم، والذين لا يزالون يبثون سمومهم وتحريضهم ضد السوريين، دون النظر إلى مخاطر هذا الشرخ الذي يحصل بين الشعبين.

ولمن يحمل حقداً دفيناً على السوريين من أيام الاحتلال السوري للبنان، نقول إن السوريين عانوا من بطش النظام كما عانيتم منه وأكثر بكثير طوال أربعين عاماً، والأولى أن تسألوا عمن ظلمكم بين شبيحته الذين يصولون ويجولون في لبنان، وليس بين اللاجئين الضعفاء، الذين أجبرهم عنف النظام وإجرامه على اللجوء إلى بلادكم مكرهاً، هربا من عمليات عسكرية شاملة.

للمراسلات والتواصل مع هيئة التحرير souriatna@gmail.com